فتحي الإبياري

المحمديات

رحلة مع الكتاب والمفكرين
والادباء والباحثين فى انحاء العالم
ورؤى جديدة فى السيرة العطرة
عن خاتم الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد عليه افضل
لاة وازكى السلام



فتحى الابيارى

المحمديات

الجزء الأول

رحلة مع الكتاب والمفكرين
والادباء والباحثين فى
أنحاء العالم
ورؤى جديدة فى السيرة
العطرة
عن خاتم الأنبياء
والمرسلين
سيدنا محمد عليه افضل
الصلاة وأزكى السلام

- تصميم الغلاف للفنان: محمد قطب
- الاخراج الفنى والتنفيذ: صبرى عبد الواحد
- خطوط الغلاف: فاضل مصطفى فاضل

اهــــداء

إلى كل أبناء هذا الجيل
وإلى أولادى حسن
وأمانى ومحمد داعيا
الله أن يكون القرآن
الكريم لكم دستورا
وسيرة الحبيب المصطفى
سيدنا محمد ﷺ نورا
وهداية لكم فى طريق
الحياة..
ولكم فى رسول اللة أسوة
حسنة.

فتحى الابيارى

ياحبيب الرحمن، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

ياقدوة لكل البشر أجمعين، وصدق من قال: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾

يا حبيبى.. يا رسول الله.

والإنسان فى هذه الحياة الصحراوية.. كالتائه فى حاجة إلى من يروى عطشه..

ولا نبع له فى هذا الوجود ليرتوى منه..

إلا نبع لحب..

القرآن الكريم.. ومحمدﷺ

يايتيما ضم للصدر إليه كل أبناء الحياة

يا معزِا للحيارى، يا مذِلاً للطغاة

يا محيلا كلَّ صحراء على الأرض، وفى النفس بساتين صلاة يا محيطا دورة الأرض برايات الدعاة

ويكبْر فى الحياة..

يا محمد.. يا محمد.. يا محمد..

جلّ من سواه نورا هاديا للبشرية

ذكره فوق جبين الدهر هاله..

كلمـــات.. لابد منهـــا

يا رسول الله

يا نبيّ الرحمة

ماذا يقال فيك فى مقام المدح والثناء.. وكل مقاماتك مدح وثناء.. بعد أن زكّتْك السماء.. وقال فيك رب العالمين..

﴿وإنك لعلى خلُق عظيم﴾

وأى كـلام يبلـغ صـفتَك، ويجلّى حـقـيـقـتك، وقـد منحـك الرحـمن صفتين من صفاته: الرأفة والرحمة. فقال فيك جلّ شأنه:

﴿بالمؤنين رءوف رحيم﴾

إن كل قـول يقـوله المادحـون بعـد هـذا ليس وصــفـا لـذاتك، ولا تشخيصا لصفاتك، وإنما هو تسبيح وتمجيد، وصلاة ودعاء!. يجد فيه القائلون سعادة ورضى، ويقبسون منه نورا وهدى، ويستمدون منه مضاءً وعزما. فإذا وقفنا ببابك نقبس من أضواء سيرتك. ونَنْشق من عبـيـر هديك، وننهل من موارد فـيضك وفضلك، فـإنما هى وقـفـة

صلوات، وتسلميات عليك، استجابة لما أمر الله به المؤمنين فى قوله:

﴿إن الله وملائكته يُصلُّون على النبىّ، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه، وسلّموا تسليما﴾

صدق الله العظيم

فلا مدح ولاثناء.. فإنك فوق المدح، والثناء ولكن.. صلوات، وتسليمات.. ورحمات.. وبركات.. يارسول الله.. يا شفيعنا يوم القيامة والفرقان.

وأول مرة أقف أمامك يا سيد الخلق والأنام.. لم تقو ساقاى على حملى، فسقطت على الأرض، والدموع تغسلنى، وقد تراءت أمام مخيلتى، ما حدث لك فى الطائف.. وقد استنجدت برب العالمين داعيا «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلّة حيلتى، وهوانى على الناس..» فما كان من رب العالمين أن استضافك إلى سِدْرة المنتهى. حبًّا، لتكون نورا للعالمين. يا سيد الخلق والمرسلين.

وفى رحابك.. تواردت إلى مخيلتى فكرة «المحمديات» أول موسوعة تلقى الأضواء على ما كتبه الكتاب والمفكرون، والأدباء والباحثون فى أنحاء العالم.. ورؤى جديدة فى السيرة العطرة.. عن الرحيق المختوم، خاتم الأنبياء والمرسلين.. سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وجمعت ما يقرب من خمسمائة كتاب من التراث، ومن الكتب الحديثة التى تناولت السيرة العطرة برؤى جديدة. ومازال هناك الكثير، ولن ينتهى ذلك النبع.. أبدا.

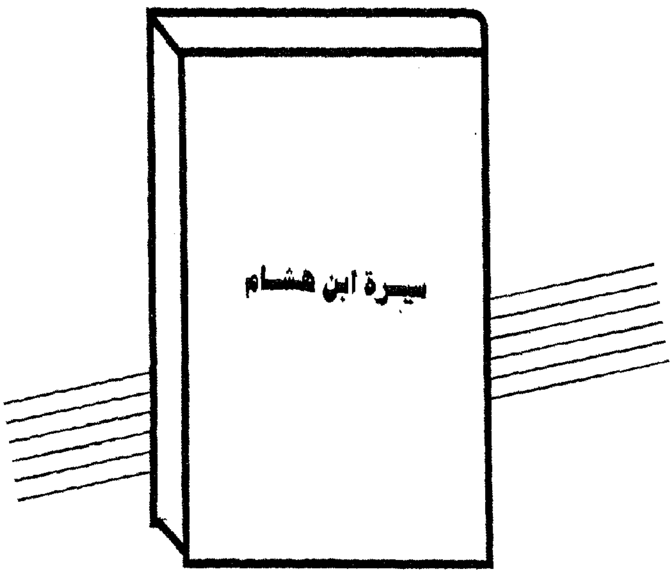
وشاء القدر أن يوفق الزميل والشاعر فاروق شوشة رفيق العمر، أن يفتح الطريق لتكون «المحمديات» أول مسلسل إذاعى يقدم هذه الكتب إلى ملايين المستمعين فى مصر والعالم العربى، والعالم أيضا من أخراج مجدى سليمان. خاصة أن بعض الدول العربية قد قررت إذاعته فى محطاتها.

واليوم أشكر الله على أن وفق أخى الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب والدكتور محمد عنانى والسيدة سميرة عرابى وكيلة الوزارة وكل العاملين فى هيئة الكتاب على أن يرى الجزء الأول من هذه الموسوعة النور.. فى أيام النور.. وأهدى الكتاب إلى إبنى الوليد «محمد».. هدية «المحمديات».. وأن يكون من عباده الصالحين العابدين الشاكرين، الحامدين.. يارب العالمين.

﴿ولكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾

يا رسول الله.. يا شفيعنا يوم القيامة والفرقان.

فتحى الابيارى


سيرة ابن هشام

يا حبيب الرحمن وشفيعنا يوم القيامة والفرقان.

يا قدوة لكل البشر أجمعين.

وصدق من قال ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوّة حسنة﴾

يا حبيبى يا رسول الله.

والإنسان فى هذه الحياة الصحراوية كالتائه.

فى حاجة إلى من يروى عطشه.

ولا نبع له فى هذا الوجود ليرتوى منه.

إلا نبع الحب.

القرآن الكريم.. ومحمدﷺ.

يا يتيما ضم للصدر إليه كل أبناء الحياة.

يا معزًّا للحيارى، يا مذلاً للطغاه.

يا محيلا كل صحراء على الأرض.

وفى النفس بساتين صلاة.

يا محيطا دورة الإرض، برايات الدعاة.

يا محمد.. يا محمد.. يا محمد..

كانت حياة الرسول الكريم سيدنا محمدﷺ ومازالت.. بغية الباحثين، والدارسين، والمفكرين، والكتاب، والأدباء.. والناس أيضا إلى يوم الدين.

والسيرة العطرة.. محيط واسع، لا نستطيع أن نلمّ بكل أرجائه. ولذلك كانت هناك العديد من الرؤى، والأفكار، والآراء، لاكتشاف جوانب مختلفة من هذه السيرة العطرة.. سيرة سيد الخلق، وخاتم الأنبياء والرُسل...

وهذه الرحلات.. فى هذا الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك.. مع هؤلاء الكتاب والمفكرين فى كتبهم، ودراساتهم، وأبحاثهم، ما هى إلا متنفسا، نستنشقه من عبير السيرة العطرة. وأول هذه الكتب هو كتاب «السيرة.. لابن هشام» المرجع الرئيسى والنبع الذى يرتشف منه كل الكتاب والمفكرين، بعد القرآن الكريم.

إن أول كتاب للسيرة قد وضعه ابن اسحاق، للمهدى بأمر أبيه المنصور، يجمع له فيه تاريخ العالم منذ خلق الله آدم إلى أيام ابن اسحاق. فلم يرض المنصور عن ذلك، وأمره بإختصاره، فاختصره. ولكن الكتاب جاء بعد هذا الاختصار يفيض بالكثير مما لا يتصل بسيرة الرسول.

وبعد نحو من نصف قرن، أو دون ذلك بقليل، قام ابن هشام، فخلّص الكتاب من الكثير من الزيادات، وبوب فصوله، ونسّق فى موضوعاته، وشرح ما غمض منه.

ونسى الناس كتاب السيرة الذى وضعه ابن اسحاق وذكروا كتاب.. «السيرة» لابن هشام. نسوْا الأصل، لأنه كان كثير التداخل فى موضوعاته، وذكروا الفرع، لأنه جعل من العسر يسرا، ومن المضطرب منظوما، ورأَوْا منه سرداً لا يردهم عنه غامض.

من أجل هذا نُسىِ ابن اسحاق، وذكر ابن هشام، ومن أجل هذا غلب ابن هشام ابن اسحاق على سيرته فلم يذكر هذا الكتاب فى السيرة إلا مقرونا باسم ابن هشام.

ويبقى الكتاب مرجع الباحثين والدارسين، فهو عن رسول كريم، ونبى عظيم، وما أجل الأمر فى النفوس، وأبلغه من الأفئدة.

وقد بدأ ابن هشام سيرته بذكر «النسب الزكى» للرسول الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام. ثم تبعها بقصة «شق وسطيح الكاهنين» فيقول:

كان ربيعة بن نفر ملك اليمن قد رأى رؤيا هالته، وفظع بها. فجمع إليه كل الكّهان، والسحرة، والمنجمين من أهل مملكته فقال لهم:

إنى قد رأيت رؤيا هالتنى، وفظعت بها، فأخبرنى بها وبتأويلها:

قال له المنجمون: أقصصها علينا نخبرك بتأويلها. فقال، فإنه لا

يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال رجل منهم: فإن كان الملك يريد،فليبعث إلى سطيح وشق، وبأنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما. فقدم عليه سطيح قبل شق. فقال ربيعه له:

ـ إنى رأيت رؤيا هالتنى، وفظعت بها، فأخبرنى بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها. فقال له سطيح.

ـ رأيت حُمَمَه، خرجت من ظلّمة، فوقعت بأرض نهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة. أى أنك يا مولاى رأيت قطعة فحم فيها نار، قد خرجت من جهة البحر، أى خروج عسكر الحبشة من أرضهم.

ربيعة: ماأخطأت منها شيئا يا سطيح.. فما عندك فى تأويلها؟

سطيح: سوف تهبط أرضكم الحبش.

ربيع: وأبيك يا سطيح.. إن هذا لنا مؤلم وموجع، فمتى يحدث ذلك؟.. أفى زمانى هذا أم بعده؟

سطيح: لا بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين.

ربيعة: ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم؟

سطيح: يليه أرم بن ذى يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن.

ربيعة: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟

سطيح: بل ينقطع.

ربيعة: ومن يقطعه؟

سطيح: نبى زكى، يأتيه الوحى من قِبَل العلِىّ.

ربيـعـة: وممّن هذا النبى؟

سطيح: رجل من ولْد غالب بن فهر بن ملك بن النضر، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر.

ربيـعـة: وهل للدهر من آخر؟

سطيح: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

ربيـعـة: أحق ما تخبرنى به؟

سطيح: نعم، والشفق والغسق، والفلق إذا انشق، إن ما أنبأتك به لحق!!.

وقدم على ربيعة ملك اليمن شق، فقال له كقولة سطيح، وكتمه ما قاله سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان فقال شق.

شـــق: نعم رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة، وأكمةْ، فأكلت منها كل ذات نسمة.

فلما قال له شق، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد، فقال له ربيعة ملك اليمن.

ربيـعـة: ما أخطأت يا شق منها شيئا، فما عندك فى تأويلها؟

شـــق: سوف ينزل بأرضكم قوم يغلبونكم.

ربيـعـة: إن هذا لموجع، فمتى هو كائن؟.. أفى زمانى أم بعده؟.

شـــق: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنفذكم منها عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشد الهوان.

ربيـعـة: ومن هذا العظيم الشأن؟

شـــق: غلام.. يخرج عليهم من بيت ذى يزن، فلا يترك أحدا منهم باليمن.

ربيـعـة: أفيدوم سلطانه. أم ينقطع؟

شـــق: بل ينقطع برسـول مـرسل، يأتـى بـالحق والعـدل، بـين أهل الدين والفضل، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل.

ربيـعـة: وما يوم الفصل.

شـــق: يوم تجـزى فـيـه الولاة، ويُدعى فيـه من السمـاء بدعـوات، يسـمع منهـا الأحـيـاء والأمـوات، ويـجـمع فـيـه بين الناس للمقيمات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

ربيـعـة: أحق ما تقول؟

شـــق: أى ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق.

وقـد تحـقـقت هذه الارهاصـات الأولى، بقـدوم الحـبيب المصطفى محمدﷺ بعد ذلك. ثم إن أبرهة عندما تولى ملك اليمن، بنى بصنعاء كنيسة لم يُرَ مثلها فى زمانهـا، ثم كتب إلى النجاشى ملك الحبشة قائلا:

أبرهة: إنـى بنيت لك أيها الملك كنيسـة لم تُبْنَ مـثلهـا لملك كـان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب.

فلمـا تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشى، غضب رجل من العرب، وأحدث تخريبا بالكنيسة، وعلم أبرهة بما حدث فقال:

أبرهة: من صنع هذا؟

فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة.

فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمه، وجّهز جيشا كبيراً، وخرج معه بالفيل. ولما نزل أبرهة قريبا من مكة، أرسل جنده، فغنموا أموالا، وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها.

وهمّت قريش ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة رسولا إلى مكة، وطلب منه أن يسأل عن سيد أهل البلد وشريفها، ويبلغه هذه الرسالة.

إن الملك يقول لك: «إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدْم هذا البيت، فإن لم ترد حرب فقد أمرنى الملك أن آتيه بك».

وكان عبد المطلب أوسم الناس، وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة، أجلّه وأعظمه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل لى: ما حاجتك؟.

فقال له ذلك الترجمان، فقال عبد المطلب.

عبد المطلب: حاجتى أن يرد علىّ الملك مائتى بعير أصابها لى.

فلاما قال لى ذلك. قال أبرهة لترجمانه، قل له:

أبرهة: قد كنت أجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى. أتكلمنى فى مائتى بعير، أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك، ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟

ـ قال له عبد المطلب قولته المشهورة.

عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً يحميه.

أبرهة: ما كان ليحميه منى.

عبد المطلب: أنت، وذاك!!

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل الى أصاب له. ثم أنصرف عبد المطلب إلى قريش فأخذهم بالخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز فى الجبال والشعاب. ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وأعد جيشه. ولمّا وجهوا الفيل إلى مكة برك وضربوه بالفأس فى رأسه، ولكنه أبى. وأرسل الله عليهم طيرا من البحر ترميم بحجارة من سجيل. وهلك جيش أبرهة وأصيب فى جسده. وتراجع جيش أبرهة، حتى عادوا إلى صنعاء، ومات هناك فلما بعث الله تعالى محمداﷺ، قال الله تبارك وتعالى فى قرآنه الكريم:

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم فى تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول﴾.

صدق الله العظيم

حياة محمد ﷺ

د. محمد حسين هيكل

نواصل معا إلقاء العديد من الأضواء على شخصية الحبيب المصطفى محمدﷺ.. ومن الكتاب والمفكرين الذين ساهموا فى إلقاء المزيد من الأضواء.. الكاتب الكبير الراحل د. محمد حسين هيكل.. «حياة محمد».

محمد.. بهذا الاسم الكريم تنطق ملايين الشفاة، وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات. وهذه الشفاة والقلوب به تنطق، وله تهتز ملايين القلوب إلى يوم الدين.

وفى كل الصلوات الخمس يذكر المسلمون محمداً بن عبد الله نبيه ورسوله فى ضراعة وخشية وإنابة. وهم فيما بين الصلوات الخمس ما يكادون يسمعون اسمه حتى تجف قلوبهم بذكر الله وبذكر مصطفاه.

كذلك كانوا.. وكذلك سيكون.. حتى يُظهر الله الدين القديم، ويتم نعمته على الناس أجمعين.

• لقد وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرفّ ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص، وكلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل، وظهر ضعفه وتضاءل غروره.

ونبىّ الإسلام محد عليه أفضل وأزكى السلام شبيه بالوجود. فقد جدّ العلماء منذ أشرقت بنوره يتلمسون نواحى العظمة الإنسانية منه.

ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته فى عقله،وخلقه وعلمه، ومع أنهم ستطاعوا الوصول إلى شىء من المعرفة، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة، أمامهم جهاد طويل، وبعد شاسع وطيق لا نهاية له.

والنبوة هبة الله لا تُنال بالكسب، ولكن حمكة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستدّ لها والقادر على حملها، الله أعلم حيث يجعل رسالته.

ومحمدﷺ أُعدّ لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه، أحمره وأسوده، إنسه وجنه.

وأُعدّ لأن يحمل رسالة أكمل دين، ولأن يختم به الأنبياء والرُسل. وليكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء، وتنكدر النجوم، وتبدل الأرض ير الأرض والسموات.

ما هى الرؤية التى استخلصها د. محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد». وما المنهج الذى أعتمد عليه بعد أن قرأ الكثير فى أمهات كتب السيرة النبوية الشريفة، وكتب المستشرقين الملتزمين بالمنهج العلى الأمين، وكتب المستشرقين الحاقدين، الموتورى؟.

لقد صدرت من كتاب «حياة محمد» العديد من الطبعات. وفى الطبعة الثانية، قام د. محمد حسين هيكل بالرد على بعض الملاحظات، والنقد، عندما صدرت الطبعة الأولى.

ومن خلال مطالعتنا للكتاب يمكننا إجراء حوار مع المؤلف، حول كتابه الذى أحتوى على واحد وثلاثين فصلا، يكشف الكثير من رؤية الدكتور محمد حسين هيكل.. للسيرة النبوية الشيفة. ومن خلال ذلك الحوار يمكننا الإحاطة برؤية د. هيكل فى السيرة العطرة.

● د. محمد حسين هيكل. ما هى طريقتك فى البحث عندما تناولت السيرة النبوية الشريفة فى كتابك «حياة محمد»؟.

هيكل: إننى منذ اعتزمت لقيام بهذه الدراسة إنما أردتها دراسة علمية على الطريقة الحديثة خالصة لوجه الحق ولوجه الحق وحده.

● ماذا تقصد بالدراسة العلمية؟

هيكل: أى أن أكون قد محوت من نفسى كل رأى وكل عقيدة سابقة. وبدأت بالملاحظة والتجربة، والموازنة والترتيب، ثم الاستنباط القائم على هذه المقدمات والترتيب، ثم الاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية. وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر. وهى طريقة الرسول

الكريم محمد أفضل الصلوات عليه وأزكى السلام.. وهى أساس دعوته.

● أليست هذه هى طريقة القرآن الكريم؟

هيكل: إنها كذلك، وهذا حق لا ريب فيه. فقد جعل العقل حكما، والبرهان أساس العلم، وعاب التقليد وذمّ المقلّدين وأنّب من يتبع الظن وقال سبحانه وتعالى:﴿إنا الظنّ لا يُغْنى مِن الحقّ شيئاً.﴾.

وعاب تقديس ما عليه الآباء، وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها. ولم تكن معجزة محمدﷺ القاهرة إلا فى القرآن وهى معجزة عقلية.

● دكتور هيكل. لقد قلت فى مقدمتك لكتاب «حياة محمد»: كان خليقا بكل من يتصدّى للبحث فى موضوع السيرة النبوية أن يتوجّه به إلى الإنسانية كلها لا إلى المسلمين وحدهم».. ماذا تقصد؟.

هيكل: هذا صحيح وواقع، فليست الغاية الصحيحة منه دينية محضة كما قد يظن البعض، بل الغاية الصحيحة منه أن تعرف الانسانية كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذى دّلها محمدﷺ على طريقه.

● د. هيكل. لقد تأثر كثير من المستشرقين فى بحوثهم التى صيغت صيغة العلم بأهواء أمزجتهم.. وخاصة عند تعرضهم للسيرة النبوية الشريفة.. ما هو رأيك؟.

هيكل: ليس من اليسير أن يقوم المسشرقون فى بحوثهم الإسلامية وخاصة السيرة النبوية الشريفة بكل الدقة والإنصاف، مهما تحسن

نيتهم، ومهما يتحروا الدقة العلمية، فعسير عليهم أن يحيطوا بكل أسرار اللغة العربية، وإن أحاطوا بعلومها ثم إنهم متأثرون بالنصرانية الأوربية تأثرا يجعل أكثرهم ينظرون إلى الأديان نظرة تملؤها الريبة.

● د. هيكل.. لقد قلت.. إنه خدمة للحقيقة وللإنسانية يجب علينا أن نتعمق فى سيرة النبى العربى تعمقا يهدى الإنسانية طريقها إلى الحضارة التى تنشدها فى المرجع الأصيل لهذه الدراسة؟

هيكل: إن القرآن الكريم هو أصدق مرجع لهذه الدراسة، فهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل، ولا تعلق به الريبة. وهو الكتاب الذى بقى أربعة عشر قرنا، وسيبقى أبد الدهر معجزة الحياة فى طهارة نصوصه، مصداقا لقوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا له لَحَافِظُونَ﴾.

صدق الله العظيم

●● وقد وفق الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد» فى تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض، فجاء الكتاب عقداً منضداً، وسلسلة متينة محكمة الحلقات.

وإذا كان النبىﷺ خاتم الأنبياء وليس للعالم بعده هادٍ ومرشد، وكان دينه أكمل دين بنص الوحى القاطع، فلا يمكن أن يقف أمره على ما هو عليه الآن. ولابد أن يمحو نوره نور غيره، كما تمحو الشمس أضواء غيرها من الكواكب.


الرسول .. لمحات من حياته
د. عبد الحليم محمود

يقول الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله، واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا﴾.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى﴾.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

●● ومع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين، فى أنحاء العالم، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين نصحبكم فى رحلة اليوم مع العلامة الفقيه المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق والذى حصل على الدكتوراه من فرنسا فى الفلسفة وكتابه.. «الرسولﷺ لمحات من حياته.. ونفحات من هديه».

●● وهو من الكتب المتميزة حول السيرة العطرة، وقد تناول الدكتور عبد الحليم محمود هذه اللمحات.. وهذه النفحات برؤية العالم، وبقلب مفعم بالإيمان، ويحب عميق للرسول الكريم المصطفى.. سيدنا محمدﷺ، متناولا المعالم البارز فى السيرة العطرة.. النسب الشريف. المولد. الوحى. الإسراء والمعراج، الهجرة. الصلاة. الصيام.

●● وقد انقسم الكتاب إلى بابين رئيسيين، حيث تناول فى الباب الأول بعض لمحات من السيرة العطرة. والباب الثانى خصه بمناقشة بعض القضيا الإسلامية، وكشف القناع عن مؤامرات المستشرقين للنيل من الإسلام والرسول الكريم امتدادا للحملات الصليبية التى ما تكاد تهدأ حتى تظهر مرة أخرى كما نشاهد ذلك فى عصرنا الآن.

●● وكشف الدكتور عبد الحليم محمود خبايا كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» الذى يبين فى وضوح أن اليهود قد آلوا على أنفسهم أن يفسدوا على الإنسانية دينها، وخلقها وثقافتها. وقد منى الإسلام بطائفة من المستشرقين اليهود على درجة من الخبث والمكر والدهاء، يعجب لها الشيطان نفسه.

وقد ألقى الدكتور عبد الحليم محمود الأضواء على نظرة بعض المسلمين إلى الرسول الكريم على أنه «بشر»، والبعض الآخر من المؤمنين على أنه «يوحى إلى» والفرق بينهما.

● ماذا كان يقصد الدكتور عبد الحليم محمود من الفرق بين الرسول الكريمﷺ «بشر» وبين أنه «يوحى إلى»؟

●● فى رأى الدكتور عبد الحليم محمود أن المؤمنين ـ بحمد الله ـ لا يقصدون هذا الأثم متعمدين، وإنما يتسلل هذا الأثم إلى بعض النفوس فى صورة لا شعورية، عندما يركز بعضهم على بشرية الرسولﷺ وكأنه لا شىء فيه غير البشرية.

●● بمعنى أن بعض هؤلاء حينما يتحدثون عن البشرية عند الرسول الكريم، ويركزون عليها.. يعتبرون أنفسهم تقدميين متطورين. وفاتهم أن هذه النظرة ـ مثل نظرة أبى جهل ـ إنما هى النظرة التى يتبناهاالمستشرقون المبشرون فى العصر الحاضر، ليقللوا من شأن الرسول الكريم في نظر مواطنيهم. وهؤلاء الكتاب والباحثين ليسوا تقدميين ولا متطورين، وإنما هم من الرجعيين حيت ترجع فكرتهم إلى ما قبل ثلاثة عشر قرنا مضت. ويتزعمهم فيها أبو جهل كله، وأبو الظلمة القلبية كلها. فالذى لا إيمان له لا يرى إلا

«البشرية» ومن ضعف ايمانه يركز على «البشرية» ويزداد التركيز على «يوحى إلى» كلما إزداد الإيمان بالمرء.

●● يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

●● وذكر الدكتور عبد الحليم محمود، الآيات القرآنية عن الاسراء والمعراج. أما الأحاديث النبوية فإنها كثيرة مستفيضة ولقد رويت عن أكثر من ستة وعشرين صحابيا يكمل بعضها بعضا.

●● ويقول الدكتور عبد الحليم محمود «نحن هنا لا يعنينا أن نذكر الموضوع بكل تفصيلاته، فإنه عادة للمسلمين، وإنما الذى يعنينا أن نذكر على الخصوص.. الجانب الأخلاقى فيه، وجانب المغزى منه.

ولقد قدم ابن اسحق ـ حسبما يروى ابن هشام ـ لحديث الاسراء بكلمة جميلة، يقول فيها:

وكان فى مساره، وما ذكر منه: بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله، فى قدراته وسلطانه، فيه عبرة، لأولى الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق، وكان من أمر الله على يقين.

فأسري به كيف شاء، وكما شاء، ليريه من آياته الكبري ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره، وسلطانه العظيم، وقدرته التى يصنع بها ما يريد.

ومجمل الأمر: أن رسول اللهﷺ بينما كان نائما أتاه جبريل. فأيقظه وخرج معه، فإذا أمامهما دابة بيضاء هى البراق، وركبها

رسـول الله وسـارت الدابة، وجـبـريل مـعـه حـتـى انتـهى إلى بيت المقدس.

●● فوجد فيه ابراهيم، وموسى، وعيسى، فى نفر من الأنبياء فأمَّهم رسول اللهﷺ. ثم أتى جبريل بإناءين بأحدهما خمر وبالآخر لبن. فأخذ رسول اللهﷺ إناء اللبن، وشرب منه. وترك إناء الخمر.

●● فقال له جبريل «هُديت للفطرة، وهديت أمتك، وحُرِّمت عليكم الخمر».

●● عن ابن عباس رضى الله عنه فيما رواه الإمام أحمد ـ قال: قال رسول اللهﷺ .. ولما كانت ليلة أُسْرى بى، وأصبحتُ بمكة، فظعت أمرى، وعرفت أن الناس مُكَذِّبى».

ومر أبو جهل بالرسول الكريم، فاستفسر عن حاله، عند ما أخبره الرسول أنه أسرى به الليلة.

●●●

أبو جهل: إلى أين؟

الرسول الكريم: إلى بيت المقدس.

أبو جهل: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟

الرسول الكريم: نعم.

أبو جهل: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى؟

الرسول الكريم: نعم.

أبو جهل: يا معشر بنى كعب بن لؤى.. إلىّ.. هيا..

القوم: ماذا حدث يا أبا جهل؟ ماذا حدث؟

أبو جهل: حدّث قومك بما حدثتنى يا محمد.

الرسول الكريم: إنى أُسْرى بى الليلة.

القوم: إلى أين؟ .. إلى أين؟

الرسول الكريم: إلى بيت المقدس.

القوم: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟

الرسول الكريم: نعم

فإذا بالقوم بين مصدّق.. وبين واضع يده على رأسه متعجبا.

القوم: وهل تستطيع أن تصف لنا المسجد الأقصى؟.. وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد.. ورأى المسجد؟

فقال الرسول الكريم.. فأخذت أصف لهم.. وما زلت أصف لهم المسجد الأقصى. حتى إلتبس علىّ بعض الوصف.. لأن الوقت كان ليلا.. ولم أتبينه بدقة..

وجاءنى جبريل بالمسجد..فرأيته أمامى وطفقت أوصفه جزءا.. جزءا.

القوم: أما الوصف.. وصف المسجد الأقصى.. فقد أصاب محمد فى وصفه..

●●●

وذكرت كتب السيرة أنه فى يوم الحديث عن الاسراء، ارتد كثير ممن أسلْم، وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا:

ـ هل تدرى ماذا أصاب صاحبك يا أبا بكر؟

أبو بكر: مذا حدث له.. هل أصابه مكروه؛

القوم: يزعم أنه قد جاء هذه الليلة.. بيت المقدس.. وصلّى فيه ورجع إلى مكة..

أبو بكر: إنكم تكذبون عليه.

لقوم: لا نكذب.. إنه يحدث به الناس.

أبو بكر: والله لئن كان قاله.. لقد صدق. فوالله، إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه.

●● وذهب أبو بكر إلى الرسول الكريم.. وقال له:

يا نبى الله.. أحدثت هؤلاء القوم.. أنك أتيت ببت المقدس هذه الليلة؟

الرسول الكريم: نعم يا أبا بكر.

أبو بكر: يا نبى الله، فصفه لى.. فإنى جئته.

●● وطفق الرسول الكريم يصف لأبى بكر المسجد الأقصى.. وفي كل وصف يقول أبو بكر..

أبو بكر: صدقت يا رسول الله.. أشهد أنك رسول الله.

وقــال رســول الله صلى الله عليــه وسلم لأبى بكــر.. وأنت يـا أبا بكر«الصديق».

•••

ويقـول دكـتـور عبد الحليم محـمـود.. هذا هو الهيكل الذى ترويه الكتب لهـذا النبـأ الجـليل.. يسـمعـه قـوم فـلا يصل إلا إلى الجـوانب الظاهرية منهـم.. فـيـأخـذون فى الجـدل الشكلى.. أكــان ذلك فى اليقظة؟ أم كـان ذلك فى النوم؟.. أكان ذلك بالروح والجسد؟ أم كـان بالروح فقط؟.. وهل كان ليلا؟ أم كان نهارا؟.. وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور، حينما يخف وزن الإيمان فى النفوس.

ويسمع هذا النبأ قوم، فيصل إلى أعماق قلوبهم، فيتجـهـون فى صورة طبيعية، إلى مغزاه العميق، وإلى روحانيته السامية، ويرون أن هذا النبأ ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس مر الكرام. من هذه التوجيهات:

●● أولا: لقد كـان رسـول اللهﷺ خـاتمة لسلسلة من الأنوار التى يرسلها الله إلى العالم بين الفينة والفينة، لتـهدى إلى الرشاد، ولتقود إلى الله عن طريق الارشاد الإلهى، وكـان الكتـاب الذى أنزل عليـه صلوات الله وسـلامـه عليـه وهو القـرآن الكريم خـاتم الكتب وأكـملهـا ومهيمنا عليها.

●● ثانيا: ومن هدى الله سبحانه وتعالى، وتوجيهاته فى نبأ الإسراء والمعراج، هذه الرمزيات الأخلاقية التى تربط ربطا محكما بين الدين والأخـلاق. وتحـدث عنهـا الإسـراء والمعـراج فى صـور رمزية دالة هامة مؤثرة وبينتها السنة النبوية الشريفة.

●● فقد سار رسول الله ﷺ، في مسراه، فمر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان.

فقال ﷺ لجبريل عليه السلام.. ما هذا؟

فقال جبريل عليه السلام: هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف. ثم أتى على قوم بين أيديهم، لحم نضيج طيب في قدر طيب، ولحم خبيث نيّء في قدر خبيث، فجعلوا يأكلون من الخبيث النيء ويدعون النضيج الطيب.

فقال الرسول الكريم.. ما هؤلاء يا جبريل؟

قال جبريل عليه السلام: هذا مثل الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، ومثل المرأة.. تقوم من عند زوجها حلالا طيبا .. فتأتي رجلا خبيثا، فتبيت عنده حتى تصبح.

●● ثالثا: ومن الثمار التي جنتها الأمة الإسلامية والتي كانت من مقاصد الاسراء والمعراج، أنفصال ضعاف النفوس والشاكين والمترددين. انفصال كل هؤلاء عن الأمة الإسلامية الناشئة. وما كان هؤلاء لو بقوا إلا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة.

●● رابعا: أما هدية الإسراء والمعراج، وأعظم المنح الإلهية على الإطلاق.. فهي .. الصلاة.

فالصلاة هي الصلة به سبحانه وتعالى، وهي اللحظات الجليلة التي تتم فيها الصلة وتتحقق. إنها فترة انقطاع كامل عن عالم

المادة، وعن عالم الشهوات، عالم الفتنة لتخلص النفس إلى المنعم.. حتى تنعم فى رحابه بسعادة الصلة به، والقرب منه.

وما من شك فى أن الصلاة، يقيمها الإنسان، كما أراد الله ورسوله، من أنجح الوسائل فى القرب من الله، إنها البراق الذى يجتاز به المؤمن فى سرعة سريعة طبقات البعد عن الله سبحانه وتعالى، ليصل إليه تعالى فينعم فى رحابه.

هذه الزوايا.. وغيرها.. من عبر الاسراء والمعراج ومن توجيهات الله فيها.. كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود هى التى يجب أن ننتبه إليها، وأن نأخذ فى تأملها والانسجام معها.

أما كل من يترك هذه الآفاق العليا.. ويتجاوزها ليتحدث عن أن الرسولﷺ، أسرى بجسمه وبروحه، أو بروحه فقط أو أسرى به يقظة أو مناما، إنما هو بذلك ينحدر بنفسه مختارا من التجلى الإلهى، ليهوى بها منتكسا إلى جو اللات والعزي، وينحدر بها منتكسا من جو سدرة المنتهى، إلى الجو المادى، ومن مجالات النور السماوى المتلألىء إلى ظلمة الجدل وزيغ المجادلة فى الدين.

●● فلننصرف عنه، ولنتركه ما اختار.. مبتعدين عن الجدل مع المحاورين.. ولندع الله قائلين:

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهّاب﴾.

صدق الله العظيم



المحمديات

●● إلى من أطلّ من غياهب الجاهلية، فأطلتّ معه دنيا أظلها بلواء مجيد كتب عليه بأحرف من نور.

«لا إله إلا الله.. الله أكبر».

إلى من حرّر الأمة العربية من قياصرة الروم، وأكاسرة الفرس فإذا بها.. خير أُمَّة أخرجت للناس.

إلى من يهتف باسمه مئات الملايين من الناس فى مشارق الأرض ومغاربها كل يوم.

إلى من بنى للأمة العربية مجدا، وجعل لها مكانا عاليا تحت الشمس فى تاريخ الإنسانية.

إلى من هو الفرد الأكمل فى النبوات، والقبس المتلألئ فى مجموعة الرسل.. محمد بن عبد الله ﷺ.. رسول السلام.

إلى سكان هذا الكوكب الأرضى. إليه ﷺ.. نستمد من سيرته العطرة، العبرة، والعظمة، يا رسول الله.. ياشفيعنا يوم الفرقان.

مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين فى أنحاء العالم ورؤى جديدة فى السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين نصحبكم فى هذه الرحلة مع الشيخ العلامة خليل ياسين وكتابه «محمد»ﷺ .. عند علماء الغرب»

وفى الجزء الأول من الكتاب يتناول المؤلف، لمحات من السيرة العطرة، شخصية الرسول الكريم محمدﷺ، أخلاقه وعشرته، وتواضعه، وجوده. وكيف أن محمداﷺ كان الباحث الأول للقومية العربية، ووحدة العرب الكبرى. وتعاليم الرسول الكريم، وأثرها فى المجتمع، رسائله إلى الملوك، وملوك الروم، وكسرى ملك الفرس، والنجاشى ملك الحبشة.

وتناول المؤلف فى الجزء الثانى من الكتاب.. صورة الرسول الكريم محمدﷺ .. فى عيون المستشرقين عبر العصور. فما هى هذه الصورة.. وما هى آراؤهم فى النبى محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

هناك الكثيرون من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة النبىﷺ ومن هؤلاء «فرانسوا فولتير» الذى ولد فى باريس ١٦٩٤ وتوفى ١٧٧٨، وهو زعيم الحركة المادية، ورجل الثورة على رجال السلطة الدينية

والمدنية. وهو من رجال القلم، ونابغة زمانه، وله مؤلفات كثيرة منها كتابه المعروف «محمد» قال فيه:

إن فى نفس محمد لشيئا عجبا، رائعا، يحمل الإنسان على االإعجاب والتقدير، ولعمرى أن الرجل وقف وحده يدعو إلى الله، ويتحمل الأذى فى سبيل هذه الدعوة سنوات عديدة، وأمامه الجموع المشركة، تعمل جاهدة لمعاكسته وقتل فكرته.

إنه إذن يستحق كل تقدير وتمجيد ثم إنك لتراه محبب للأطفال الذين لا يمر بهم إلا تلطف معهم ووقف بينهم باسما متواضعا. ويقول السير وليام سوير William Sweer الأنجليزى فى كتابه «سيرة محمد»:

إمتاز محمد بوضوح كلامه وبيسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، لم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير كما فعل عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

●● ويقول العلامة الكبير جوستاف لوبون الفرنسى الذى ولد عام (١٨٤١ وتوفى ١٩٣١). وهومن فلاسفة علم الاجتماع، يقول فى كتابه «الحياة» عند حديثه عن «العرب فى الشرق» أن محمداً رغم ما يشاع عنه على وجه عام، فلقد ظهر بمظهر الحكم العظيم، والرحابة الفسيحة إزاء أهل الذمة وحرر بلاداً واسعة من الروم والفرس، وترك أهلها فى طليعة الأمم.

●● يقول «الفونس دى لامارتين الذى ولد فى بلدة ديوردو،

(١٧٩٠ وتوفى ١٨٦٩) . وهو من مشاهير الشعراء الفرنسيين.. يقول فى كتابه «السفر إلى الشرق»:

إن محمدا فوق البشر ودون الإله، فهو رسول بحكم العقل، ودلالات المعجزات تقصد ذلك.

وإن اللغز الذى حلّه محمد فى دعوته، فكشف فيها عن القيم الروحية، ثم قدمها لأمة العرب دينا سماويا، وسرعان ما اعتنقوه.. هو ما رسمه الخالق لنبى البشر.

●● ويقول الدكتور هارون ماركوس (الأمريكى)، الحاصل على الدكتوراة فى الفلسفة. والذى ولد (١٨١٢ وتوفى ١٨٨٧)، فى كتابه.. حياة محمد نبى الإسلام الحنيف ونبيه العظيم محمدا، ولنجعل موضوعنا اليوم (الحكومة الإسلامية) فى صدر الإسلام، ولنستعرض تنظيماتها فى عهد سيدها وزعيمها وقائدها، ذلك الرسول الكريم، لنبين أن الصحابة والخلفاء وقادة المسلمين، كانوا يقومون بواجباتهم بكل أمانة، ودقة، وفقاً للشريعة الغراء التى جاء بها محمد.

لم يكن فى فجر الإسلام شيع ولا أحزاب، بل على العكس من ذلك كانت الحكومة الإسلامية تمثل جميع المسلين تمثيلا صحيحا، وهى عبارة عن هيئة. مشتركة، تنطق بحق، بلسان كافة المسلمين، كل مسلم يشد أزر أخيه المسلم، ويشعر بأن من الحق والواجب عليه أن يتوجع لوجعه وكان عدل محمد منتشرا بين المسلمين.

فقد كان محمدﷺ زعيما، وقائدا سياسيا، بما فى أسمى معانى الزعامة السياسية من معنى وسيادة، هذه كانت تتجلّى فى أروع المظاهر التى عرفها بنو الإنسان.

ويقول الفيلسوف والروائى العالمى الروسى «ليون تولستوى» الذى (ولد ١٨٢٨ وتوفى ١٩١٠) فى كتابه «الإنسان والحياة»، لقد صدّقت عائلة محمد برسالته، وكذلك على بن أبى طالب، وزيد، وانضم إليهما أبو بكر، وخديجة بنت خويلد زوجة الرسول وهى أول من أسلم من النساء.

إن محمدا نبى الإسلام الذى آمن به أكثر من مائتى مليون نفس (الآن مليار و٢٠٠ مليون مسلم) قد قام بعمل عظيم جدا، فقد هدى الوثنيين الذين قضوا على حياتهم بالحروب الأهلية، وسفك الدماء، وأنار أبصارهم بنور الإيمان، وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله سبحانه، والحق الذى لامراء فيه، أن محمدا قام بعمل عظيم وانقلاب كبير فى العالم.

●● وقال تولستوى فى كتابه «حكم محمد»، من أراد أن يتحقق فاعلية الدين الإسلامى فى التساهل، عليه أن يطالع القرآن الكريم بإمعان، ذلك الكتاب الذى جاء به محمدا بوحى من الله، وقد جاءت فيه آيات كريمة تدل على روح الإسلام السامية فمنها الآية الكريمة:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم، وأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها، كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.

صدق الله العظيم

●● ويقول الكاتب العالمى برناردشو (الذى ولد ١٨١٧ وتوفى ١٩٠٢) فى كتابه محمد الذى حرمته السلطات البريطانية).

إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد، هذا النبى الذى وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدا خلود الأبد وإنى أرى كثيرا من بنى قومى دخلوا فى هذا الدين على بيّنة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح فى قارة أوروبا، ويقول برناردشو أيضا.. وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام، والتعاون، والعدالة، فى ظل شريعة متمدينة محكمة. لم تَنْس أمرا من أمور الدنيا إلا أسمته، ووزنته بميزان لا يخطئ أبدا، وقد ألفت كتابا فى «محمد» ولكنه صودر لخروجه عن تقاليد الأنجليز.

محمد بن عبد الله ﷺ تسللت بذور مبادئه إلى قلوب علماء الغرب وفلاسفته وما أكثرهم بعد أن عرفوا قدره، وقدرها، وكانت تلك بعض أقوال من هؤلاء العلماء.. وهناك الكثير من الأقوال والآراء والدراسات.. التى تؤكد.. أن نور النبى محمد ﷺ ما زال يشع على ظلام هذه الدنيا التى نحياها.

●●●

●● إلى من يهتف باسمه مئات الملايين من الناس فى مشارق الأرض ومغاربها كل يوم.

إلى من بنى للأمة العربية مجدا، وجعل لها مكانا عاليا تحت الشمس فى تاريخ الإنسانية.

إليك يا حبيب الرحمن، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان. يا محمد.. عليك أفضل الصلوات وأزكى السلام وصدق من قال ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ ﴿ولكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾.

● وفى الجزء الثانى من الكتاب، يتناول فيه آراء الكتّاب والمفكرين فى أنحاء العالم.. ورؤيتهم للرسول الكريم محمدﷺ. فقد قال العلامة الفرنسى «جوستاف لوبون» الذى ولد فى تولوز (١٨٤١ وتوفى ١٩٣١) وهو من فلاسفة علم الإجتماع.

قال:

● إننى لا أدعو إلى بدعة محدثة، ولا إلى ضلالة مستهجنة، بل إلى دين عربى قديم أوحاه الله إلى نبيه محمدﷺ فكان أمينا على بث دعوته بين قبائل رُحَّل.. تلَهّتْ بعبادة الأحجار والأصنام. فجمع بين صفوفهم بعد أن كانت مُبعثرة، ووحدّ كلمتهم بعد أن كانت متفرقة، ووجّه أنظارهم لعبادة الخالق، فكان خير البرية على الإطلاق حسبا ونسبا، وزعامة ونبوة.

● ويقول جوستاف لوبون أيضا: هذا هو محمد الذى اعتنق شريعته أربعمائة مليون مسلم، منتشرين فى أنحاء العالم، يرتّلون قرآنا عربيا مبينا. فرسول كهذا جدير باتباع رسالته، والمبادرة إلى أعتناق دعوته، إذ أنها دعوة شريفة، قوامها معرفة الخالق، والحض على الخير، والردع عن المنكر، بل كل ما جاء فيها يرمى إلى الصلاح والإصلاح. والصلاح أنشودة المؤمن.

● وقال المستشرق الهولندى المسيو راينهات دوزى (ولد ١٨٢٠ وتوفى ١٨٨٤) وكان يعمل مدرسا للغة العربية، وعمل فى الأندلس والمغرب، وله عدة مؤلفات منها «عرب أسبانيا» قال فيه:

كان يوجد على عهد محمد فى بلاد العرب ثلاث ديانات الموسوية، والعيسوية، والوثنية.

وتناول كل منها بالتحليل.. إلى أن قال:

فى عهد هذه الأحوال الحالكة، ولد محمد بن عبد الله. من هذا نرى أن العالم الإنسانى كان بحاجة إلى حادث جلل يوقظ الناس مما كانوا فيه من غفلة، ويدفعهم إلى النظر والتفكير فى أمر الخروج من المأزق الذى تورطوا فيه. ولله فى خلقه شئون. إلى أن قال:

لقد جاء محمد بتعاليم رفعت مستوى البشر إلى عالم الكمال.

● ● قال المستشرق الألمانى (تيودور نولدكه) الذى ولد فى همبورج (١٨٣٦ وتوفى ١٩٢٠) وهو من مشاهير المستشرقين الألمان، وله مؤلفات كثيرة منها «تاريخ القرآن» قال فيه:

«نزل القرآن على محمد نبى المسلمين، بل نبى العالم، لأنه جاء بدين إلى العالم عظيم، وبشريعة كلها آداب وتعاليم وحرى بنا أن ننصف محمدا فى الحديث عنه، لأننا لم نقرأ عنه إلا كل صفات الكمال، فكان جديرا بالتكريم».

قال الكاتب الفرنسى الشهير والمؤرخ الكبير «هيليار بلوك» والذى (ولد ١٨٦٥ وتوفى ١٨٩٥)، وله دراسات فى أديان الشرق، وله

مؤلفات منها «محمد والقرآن الكريم». قال:

«إنى أقول إن معجزة كهذه من حيث خطرها وبُعْد أثرها، وعظيم نتائجها، كانت مسوقة بقوة لا يستطاع تفسيرها، وإن كان ما لدينا من المصادر والوثائق يساعدنا على تفهم الأسباب التى جعلتها أمرا واقعا منظورا.

كانت الحركة دينية ما فى ذلك شك، فلم يخرج العرب من جزيرتهم للحرب فقط، وإنما خرجوا لنشر الدين الجديد الذى جاء به محمد، والتبشير بالمثل العليا التى نادى بها محمد، والصفات الجليلة التى دعا إليها محمد.

قال السير (وليام سوير william Sweer) الإنجليزى فى كتابه «محمد»:

«ومن صفات محمد الجليلة الجديرة بالذكر، الرقّة والأحترام، اللتان كان يعامل بهما أصحابه حتى أقلّهم شأنا. فالسماحة، والتواضع، والرأفة، والرقة، تغلغلت فى نفسه ورسخت محبته عند كل من حوله. وكان يكره أن يقول لا، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب عن سؤاله فضّل السكوت على الجواب.

ويقول السيد وليام أيضا: ولقد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها وقالت عائشة (رضى الله عنها).. وكان إذا ساءه شئ تبينّا فى أسارير وجهه.

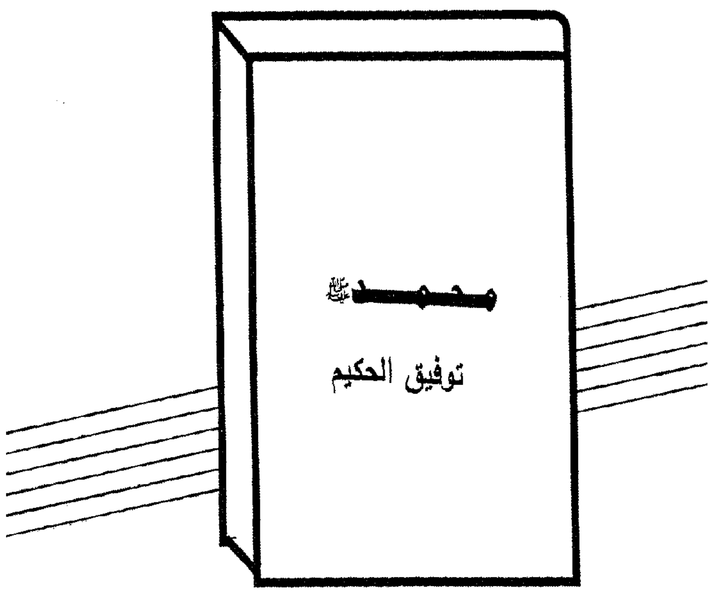
وقال السير وليام سوير فى كتابه أيضا. ولم يمس محمد أحدا بسوء إلا فى سبيل الله. ويؤثر عنه إنه كان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان شأنه.

وقال السير وليام سوير كذلك: ولا يرفض محمد هدية مهداة إليه مهما كانت صغيرة، وإذا جلس مع أحد أيا كان شأنه لم يرفع نحوه ركبته تشامخا وكبراً. وكان يحب الأطفال.. إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يقرأهم تحية السلام.

وعامل حتى ألدّ أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طويلا، وامتنعوا عن الدخول فى طاعته. كما ظهر حلمه وصفحه حتى فى حالتى الظفر والإنتصار. وقد دانت لطاعته القابئل التى كانت من قبل أكثر مناوأة، وعداء له.

وقال الكاتب الألمانى الشهير (دريترسى) الذى ولد فى برلين عام (١٨٢١ وتوفى ١٨٨٨) وهو مستشرق ألمانى، وله كتب مختلفة.. قال:

إن علوم الطبيعة والفلك، والفلسفة، والرياضيات التى أنعشت أوروبا فى القرن العاشر للميلاد، مقتبسة من قرآن محمد، بل إن أوروبا مدينة للإسلام الذى جاء به محمد...،.


محمد ﷺ
توفيق الحكيم

إن سيرة الحبيب المصطفى سيدنا محمدﷺ، والدعوة إلى الله العلى القدير فى عالم الأوثان. وهداية الإنسان إلى دين الإسلام والسلام، وكفاحه من أجل هذه الدعوة. كانت وما زالت .. دافعا لمئات الكتاب والمفكرين.. من الشرق والغرب.. لإلقاء الأضواء من كل الجوانب.. على هذه الشخصية النورانية.

وكانت رؤية كل مفكر، وكاتب تختلف عن الآخر.. فهناك من ألقى الأضواء. على جوانب خاصة من السيرة العطرة، وهناك من تصدى لبعض الدعاوى المغرضة التى هاجمت الرسالة المحمدية، وهناك من تناول شخصية الرسول الكريم من زاوية الحرية، ومن زاوية العبقرية..

وشارك كبار كتابنا ومفكرينا فى إلقاء المزيد من الأضواء على شخصية الرسول الكريم محمدﷺ، فكيف تناول كاتبنا الكبير توفيق الحكيم شخصية محمد... عليه أفضل الصلوات.

لقد صدّر توفيق الحكيم كتابه بتلك الآية الكريمة.. «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ..» ولماذا صوّر الحكيم شخصية الرسول الكريم فى هذه الصورة.

وما هى المصادر التى اعتمد عليها؟

يقول توفيق الحكيم:

إن الكلام الذى يجرى على ألسنة الأشخاص فى هذا الكتاب هو كلام تاريخى.

● ماذا تقصد بكلام تاريخى؟

■ لقد وردت النصوص فى كتب معتمدة هى على سبيل الحصر: سيرة ابن هشام وتفسيرها لسهيلى، وطبقات ابن سعد، وأسْد الغابة لإبن الأثير، وتاريخ الطبرى، وصحيح البخارى، وتيسير الوصول، والشمائل للترمزى وتفسيره للبيجورى.

● وهل الوقائع الواردة فى كتابك «محمد» كلها صحيحة؟

■ نعم كلها صحيحة مروية فى الكتب السابق ذكرها. وقد قصدت بوضع هذه السيرة عام ١٩٣٦ فى قالب الحوار، المحافظة على حقيقة الصور التاريخية، والحرص على إبرازها من واقع الحديث التاريخى نفسه.

● وهل تغيرت بعض الملامح والسمات؟

■ كلا .. لقد جرت به الألسنة طبقا لنصوص الكتب المعتمدة التى أشرت إليها، وذلك تحاشيا من إرسال التعليقات والتفسيرات، التى قد تغيّر عن غير عمد بعض الملامح والسمات.

● كيف قسمت سيرة الرسول الكريم فى رؤيتك الفنية؟

■ لقد قسمت سيرة الرسولﷺ فى ثلاثة فصول وخاتمة. وكل فصل قسمته إلى عدة مناظر. وبعض الفصول احتوى على عشرين منظرا.

● ● ومن هذه المناظر التى تناول فيها توفيق الحكيم سيرة الرسول الكريم.. نعيش بعضا منها.

(فى يثرب، والوقت ليل. جاء أحد اليهود.. وهو يصرخ بأعلى صوته إلى جماعة من اليهود).

(يصرخ بأعلى صوته) يا معشر يهود!

ـ ويلك .. مالك!

ـ انظروا إلى السماء.. انظروا .. انظروا!

ـ ماذا؟.. ماذا؟

ـ هناك فى السماء.. طلع الليلة نجم أحمد!!

(بجوار الكعبة.. كان يجلس عبد المطلب، وأقبلت عليه امرأة تصيح).

ـ أبشر يا عبد المطلب!.. أبشر!

ـ ماذا؟

ـ جاءت آمنة بولد.. لا ككل الولدان!

ـ ولد؟

ـ لقد نظرت وهو يخرج منها.. أن خرج منها نور.

ـ (فى فرح) إنها والله للرؤيا التى رأيت.. هلمى بنا.

ـ أى رؤيا!

ـ ألم أر فى منامى كأن سلسة من فضة خرجت من ظهرى، لها طرف فى السماء وطرف فى الأرض. طرف فى المشرق وطرف فى المغرب. ثم عادت وكأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ويقبلونها؟

ـ فلتسم المولود محمدا.

ـ (فى فرح) نعم.. ولألتمس له المراضع.

ـ هلم، فانظر إليه..!

(فى سوق عكاظ، كانت حليمة مرضع محمد جالسة بين بعض النسوة، وهى تحمله على صدرها، وقالت لها إحدى النسوة.)

ـ من هذا الصبى؟

ـ هو يتيم لا أب له ولا مال.

ـ إنا لنرجوا أن يكون مباركا.

ـ إنه لكذلك، وقد رأينا بركته.

ـ كيف ذلك؟

ـ كنت لا أروى ابنى من لبنى، فهو وابنى الآن يروبان، ولو كان معهما ثالث لروى. لقد أمرتنى أمه أن أسأل عنه.

ـ ها هنا فى السوق عرّاف من هذيل يريه الناس صبيانهم.

ـ نعم.. لأعرضنه على عرّاف من هذيل وأسأله عنه.

ـ هلّمى بنا إليه.. إنه جالس فى مكانه.

(وتنهض حليمة بمحمد وتتجه إلى العراف).

ـ أيها العراف! انظر إلى هذا الصبى وأخبرنى عنه!

ـ ابن من هذا؟

ـ هو يتيم لا أب له.

ـ (يصيح) يا معشر هذيل!.. يا معشر العرب!

ـ مالك؟.. مالك؟

ـ اقتلوا هذا الصبى!

(وتنسل حليمة بمحمد قائلة:)

ـ واولداه..!

(ويقترب الناس من العّراف، ويلتفون، ولا يرون شيئا ويقولون:)

ـ أى صبى؟

ـ هذا الصبى .. اقتلوه.. اقتلوه..

(الناس لا يرون شيئا!!)

فى صومعة بَحِيرا الراهب ببصرى من أرض الشام، ومعه خادمه نسطاس. وينظر بحيرا من صومعته إلى ركب مقبلين، ويقول لنفسه:

ـ هذا ركب تجار قريش.. عجبا! ماذا أرى فيه.. لقد تغير هذا العام؟!.. كثيرا ما يمرون بى فلا أرى ما أرى!

ـ ماذا ترى؟

ـ انظر تلك الغمامة التى فوق القوم!

ـ نعم، إنها تظل غلاما بين القوم.

ـ هذه الغمامة لا تظل إلا نبيا!

ـ نبيا؟!... أترى هو الذى حدثتنى عنه؟؟

ـ أكبر ظنى..لقد آن أوانه.

ـ هذا الغلام..

ـ فلنتبين الأمر، يا نسطاس، اصنع طعاما للقوم.

ـ وهو كذلك.

ـ (ينادى) يا معشر قريش، إنى قد صنعت لكم طعاما، وأحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، عبدكم وحركم.. يا أبا طالب.. أحضرهم كلهم.

ـ والله يا بحيرا إن لك لشأنا اليوم! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا.. فما شأنك اليوم؟؟

ـ صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم.

(ويجتمعون إليه ويتخلف الغلام محمد. وينظر أبو طالب إلى بحيرا ويقول:)

ـ مالك تنظر فى القوم، عمن تبحث يا بحيرا؟

ـ يا معشر قريش!.. لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى.

ـ يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلاما، هو أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم.

ـ لا تفعلوا.. أدعوه.. فليحضر هذا الطعام معكم.

ـ واللات والعزّى أنه للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبدالمطلب عن طعام من بيننا.

(ويلحظ بحيرا محمدا لحظا شديدا، ويقول:)

ـ أدن منى أحدثك.

(ويقوم بحيرا وينتحى بمحمد ناحية بعيدا عن القوم ويقول له هامسا:)

ـ يا غلام، أسألك بحق اللات والعزّى.. ألا ما أخبرتنى عما أسألك عنه.

ـ لا تسألنى باللاة والعزىّ شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما.

ـ فبالله إذن، ألا ما أخبرتنى عما أسألك عنه؟

ـ سلنى عما بدا لك.

ـ أتحب العزلة؟

ـ نعم.

ـ أتتأمل السماء والنجوم؟

ـ نعم.

ـ أتلعب مع الغلمان كما يلعبون؟

ـ كلا.

ـ أترى فى نومك رؤى تصدق فى يقظتك؟

ـ نعم.

(ويُقبل بحيرا على أبى طالب صائحا:)

ـ يا أبا طالب! يا أبا طالب.

ـ (فى دهشة) ما شأنك يا بحيرا!

ـ خبرّنى، ما هذا الغلام منك؟

ـ ابنى.

ـ ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

ـ إنه ابن أخى.

ـ وما فعل أبوه؟

ـ مات وأمه حُبلى به.

ـ (فى شبه همس) صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت.. ليبغننه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.. نجده فى كتبنا وما روينا عن آبائنا.

ـ (متعجبا) شأن عظيم.. لابن أخى هذا؟!

ـ نعم.. إن وجهه وجه نبى.. وعينه عين نبى.

ـ نبى؟.. وما النبى؟

ـ هو الذى يوحى إليه من السماء، فينبئ به أهل الأرض.

محمد .. الرسالة والرسول

د. نظمى لوقا

يا يتيما ضمّ للصدر إليه كل أبناء الحياة

يا مُعِزًا للحيارى.. يا مُذِلا للطغاة

يا محيلا كل صحراء فى الأرض، وفى النفس بساتين صلاة.

يا محيطا دورة الأرض برايات الدعاة.

ويكبر فى الحياة

يا محمد.. يا محمد.. يا محمد.

نواصل معا.. رحلتنا مع الرؤى الجديدة فى السيرة العطرة عن الرحيق المختوم.. خاتم الأنبياء المرسلين.

رحلتنا مع الدكتور نظمى لوقا.. فى كتابه «محمد الرسالة والرسول».

وكتاب الدكتور نظمى لوقا المسيحى القبطى عن محمدﷺ رسول الإسلام والمسلمين.. لابد أن تثير هذا السؤال الضخم الكبير.. لماذا؟

إن نظمى لوقا ليس مستشرقا أستهوته دراسة الأديان فأغرق نفسه فى كتب السيرة والتاريخ الاسلامى، ثم أنتهى إلى مجموعة من الآراء عن النبى العربى.. أراد أن يخرج بها على الناس. ويقول فى مقدمة كتابه هذا:

«لست أنكر أن بواعث كثيرة فى صباى قرّبت بينى وبين هذا الرسول، وليس فى نيتى أن أنكر هذا الحب أو أتنكر له، بل إنى لأشرف به وأحمد له بوادره وعقباه.. ولعل هذا الحب هو الذى يسرّ شيئا فى التفهم، وزيّن لى فى شخص هذا الرسول الكريم تلك الصفات المشرقة، وجعلنى أعرض بوجدانى عن تلك النظرة الجائرة أو المتجنية التى نظر بها كثيرون من المستشرقين وغيرهم إلى

الرسول العربى»، ويحكى لنا نظمى لوقا قصة حبه لمحمد الرسول صلى الله عليه وسلم.. فى فصل أسماه «صبى فى المسجد»، يحكى فيه قصة فتى قبطى يجلس فى مسجد مدينة السويس أمام شيخ قصير نحيل ضرير يقرأ عليه القرآن الكريم، والسيرة، وشعر الأقدمين، وقواعد اللغة. والصبى الصغير ابن موظف فى السويس قبطى له جدود من ذوى الطيالس السود، والعمائم السود.

وجعل نظمى لوقا الحب درعه الذى يقيه هجمات هذه الكلمة التى يتوقعها باستمرار.. لماذا؟. وجعل من الحب سلاحه يهاجم به كل من يلومه أو يأخذ عليه الذى كتبه ــ وهو المسيحى ـ عن محمد رسول المسلمين.. ويقول نظمى لوقا فى مقدمته أيضا:ـ

«وبدافع من حب البشرية أقدمت على تسطير هذه الصفحات، وسيّان بعد هذا أن يقول عنها القائلون أنها شهادة حق، أو رسالة حب، أو تحية توقير، وتبجيل، فما كان الرسول محمد كآحاد الناس فى صفاته ومزاياه، وهو الذى أجتمعت له آلاء الرُسل، وهمة البطل، فكان حقا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيى فيه الرجل.

● ما الذى إجتذب نظمى لوقا فى الرسول فجعله يحبه هذا الحب ويقدره هذا التقدير، ويدفعه آخر الأمر إلى كتابة هذا الكتاب؟

يجيب المؤلف عن هذا السؤال فى أربعة فصول.. رسم فيها شخصية محمدﷺ كما رآها هو، ورسم فيها هذه الميزات الخلقية التى أهّلت محمدﷺ لكى يكون فى مكانه الذى هو فيه من حيث العظمة

والخلود. فيقول:-

«إن رسالة محمد لم تكن تستهدف غُنْما شخصيا. ولا تسخيرا للدعوة لخدمة مآرب ذاتية أو أهواء. وصح إذن «أنه ما كان ينطق عن الهوى».

ويقف المؤلف عند أكثر من قصة تثبت صدق محمد في دعواه، حيرته حين جاءه الوحي أول مرة. وقصة إبطاء الوحي على محمد إذ سأله قومه عن الروح، فوعدهم أن يجيب غدا.

في المدينة.. جلس النظر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط بين أحبار اليهود، ويقول النضر لحبْر كبير بين الأحبار:

- إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا محمد هذا؟

الحبر: سلوه عن شئ. فإذا أخبركم به فهو نبي مرسل.

النضر: ما هو؟

الحبر: سلوه عن الروح ما هي؟

عقبة: فإن أخبرنا بذلك؟

الحبر: فإتبعوه.. فإنه نبي.

النضر: وإن لم يفعل؟

الحبر: فهو رجل كاذب.. فأصنعوا بأمره ما بدا لكم.

(واجتمعت قريش في مكة، لتستمع إلى ما جاء به النضر وعقبة بعد لقائهم بأحبار اليهود في المدينة).

النضر: يا معشر قريش.. قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد.

أبو سفيان: ماذا؟

النضر: قد أخبرنا أحبار اليهود.. أن نسأله عن شئ أمرونا به، فإن خبركم عنه فهو نبى، وإن لم يفعل فالرجل كاذب.

أبو جهل: ها هو ذا محمد فى طريقه إلى الكعبة.

أبو سفيان: يا محمد.

ويلتفت محمد ويقول: ماذا تريد؟

أبو سفيان: إن كنت نبيا مرسلا، فأخبرنا عما نسألك عنه،..

يا نضر: يا عقبة..سلاه عما أخبرتما به!

النضر: يا محمد أخبرنا عن الروح.. ما هى؟

محمد: الروح؟

النضر: نعم.. الروح.

ويتساءل محمد كالمخاطب نفسه.. الروح؟

النضر وعقبة: نعم.. نعم.. الروح.

محمد: أخبركم بما سألتم عنه غدا.

وحيدا.. وحيدا.. ينادى محمد ربه.. قائلا: أى رب! إليك أشكو بلائى.. أى رب.. أبعث إلى وحيك.. أبعث إلى وحيك.. لقد سألونى عن الروح ولا أعلم بم أجيب.

أى رب، أنسيتنى؟!.. اللهم.. إنى لفى بلاء.. اللهم إنى لفى بلاء.

ثم ينزل الوحى عليه بقوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، وما كان ربك نسيا.. ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا، إلا أن يشاء الله وأذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا..﴾

﴿ويسألونك عن الروح. قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا..﴾

صدق الله العظيم

ويقول نظمى لوقا تعليقا على هذا الموقف:

«ما هو بقول دعى، وما هو بمسلك المستقل بشأنه. وإنما هو المأمور، الصادع بالأمر، الصادق بالأمر، الصادق فى أمانة البلاغ المبين».

ويناقش نظمى لوقا طويلا عند زُهد محمدﷺ وقد جذبه فى شخصية الرسول أيضا، شجاعة الإيمان والصدق، ومجاهدته لنفسه. ونظمى لوقا.. فنان وشاعر وقصاص.. وفيلسوف يحمل الدكتوراه فى الفلسفة، فكان لابد له أيضا أن يمنطق هذا الحب ويفلسفه، ويقنع عقله به اقتناع قلبه ووجدانه، وهو يبرر لنفسه هذا الحب حين يقول فى

مقدمته:

«ولكنى حين احتكم إلى العقل، أرى الخير كل الخير فيما جنحت إليه..»

فهو مقتنع إذن بهذا الذى دفعه إليه الحب فى علاج لهذه السيره العطرة، وهو يقدم لك اقتناعه هذا قبل أن يحدثك عن الرسول محمدﷺ صاحب الرسالة.

ويقف نظمى لوقا طويلا عند علاقة الانسان فى ظل الاسلام بربه، وكيف حدد الاسلام هذه العلاقة بحيث أعطى للانسان كل مسئولية عن خيره وشره.

وهكذا حدد نظمى لوقا موقفه من محمد الرسول الكريم، ومن الدعوة. فقد أحب الداعى وأقتنع به، ومضى إلى الدعوة يبحثها، فإذا بها تملأ عقله، وتسير فى كل جزئياتها مع مبررات منطقه. فيقدم لنا كتابه هذا. محمد صلى الله عليه وسلم.. الرسالة والرسول، إنها دعوة حب.. من قلب عمره الحب.

الأبطــــال..

توماس كارلايل

نواصل معا القاء العديد من الأضواء على شخصية الرسول الكريم محمدﷺ ومن الكتاب والمفكرين الذين ساهموا فى القاء المزيد من الأضواء.. كبير المفكرين والناشرين الانجليز فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر توماس كارلايل فى كتابه (الأبطال) ..وهو من الكتب الفريدة فى بابها من التاريخ.

وقد أختار كارلايل سبعا من عظما التاريخ جعلهم رموزا على البطولة كلا فى ميدانه وألقى هذه المحاضرات فى جامعة لندن..

ومن بين صور البطولة التى أختصها بمحاضرة صورة البطل.

تحدث فيه عن الرسولﷺ على نحو لم يسبقه إليه كاتب ومفكر غربى وللمرة الأولى فى تاريخ الفكر الغربى يرى اناس محمد بن عبد الله كما ينبغى أن يروه..

من أكثر من نصف قرن قام الأديب الكبير الراحل محمد السباعى بنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية نقلا فريدا وهو لمفكر غربى كبير.

●●● وفسر توماس كارلايل فى كتابه «الأبطال» معنى البطولة ونفذ الى لُبابها وأجاب على سؤال عسير هو من هو البطل ولماذا يبلغ تقدير الناس. يجيب كارلايل عن كل التساؤلات..

● ولماذا اخترت محمداً من بين الأبطال يامستر كارلايل وكيف دافعت عنه. وفنّدت كلّ الأكاذيب التى قيلت حوله؟

كارلايل: لسنا نعد محمداً هذا قط رجلاً متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيه أو يطمع إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر..

● كيف رأيت رسالته يامستر كارلايل؟

كارلايل: رسالته التى أداها، حق صراح وما كلمته إلا صدق صادق صادر فى العالم المجهول.

● هل كان محمد كاذبا..؟

كارلايل: كلا .. ما محمد بالكاذب وإنما قطعه من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فإذا هى شهاب قد أضاء العالم أجمع ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.. وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين..

● يزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية والجاه والسلطان فكيف رأيت ذلك يا مستر كارلايل وهل تتفق معهم؟

كارلايل: كلا.. لقد كانت فى فؤاد محمد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات.. العظيم النفس المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة أفكارا غير الطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. ترى محمدا لم يرض أن يلتفع بمألوف الأكاذيب ويتوشح بمتبع الأباطيل. لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات..

● لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه كما قلت بأهواله ومخاوفه فماذا رأيت أيضا؟

كارلايل: منذ أيام رحلاته وأسفاره تجول بخاطر محمد (عليه السلام) آلاف من الأفكار ماذا أنا وما ذلك الشئ العديم النهاية الذى أعيش فيه والذى يسميه الناس كونا وما هى الحياة وما هو الموت وماذا أعتقد.. وماذا أفعل.

● فهل أجابته عن ذلك صخور جبل حراء أو شماريخ طود الطور أو تلك القفار والفلوات؟

كارلايل: كلا... ولاقبه الفلك الدوار واختلاف الليل والنهار .. لم يجبه لا هذا ولا ذاك وما للجواب عن ذلك إلا روح الرجل إلا ما أودع الله فيه من سره.

● لقد قلت يا مستر كارلايل أن من أهم خصائص البطل وأول صفاته وآخرها هى أن ينظر من خلال الظواهر إلى البواطن..

كارلايل: نعم قلت ذلك فأما العادات والاستعمالات والاعتبارات والاصطلاحات فينبذها جيدة كانت أو رديئة وكان يقول لنفسه هذه الأوثان التى يعبدها القوم لابد من أن يكون وراءها ودونها شيء.. ما هى إلا رمز له وإشارة إليه وإلا فهى باطل وزور وقطع من الخشب لا تضر ولا تنفع...

● ولكن يزعم الكاذبون إنه الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا (عليه السلام) وأثاره..؟

كارلايل: هذا حمق والله وسخافة وهوس. أى فائدة لمثل هذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج قيصر وصولجان كسرى وجميع ما بالأرض من تيجان وصولجانات وأين تصير الممالك والتيجان والدول جميعها بعد حين من الدهر إن محمدا عليه السلام ليس كاذب..

●● وقد تناول توماس كارلايل فى كتابه الأبطال البيئة العربية وشخصية الانسان العربى وكيف استطاعت شخصية الرسول الكريم أن توحد بين قلوب العرب، بالإيمان ونور الله وفى هذا يقول توماس كارلايل..

كارلايل: من فضائل الاسلام تضحية النفس فى سبيل الله وهذا أشرف ما نزل من السماء على بنى الأرض. نعم هو نور الله قد سطع فى روح محمد الرجل فأنار ظلماتها. هو ضياء باهر كشف تلك الظلمات التى كانت تؤذن بالخسران والهلاك وقد سمّاه محمد عليه السلام وحيا وجبريل. وكون الله قد أنعم عليه بكشف الحقائق ونجاه من الهلاك والظلمة وكونه قد أصبح مضطرا إلى إظهارها للعالم أجمع.. هذا كله هو معنى محمد رسول الله وهذا هو الصدق الجلى والحق المبين..

● لقد قيل كثيرا فى شأن نشر محمد عليه السلام دينه بالسيف فما رأيكم يا مستر كارلايل؟

كارلايل: إنهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف ولكن ما هو الذى أوجد السيف؟ هو قوة ذلك الدين وإنه حق والرأى الجديد أو ما ينشأ يكون فى رأس رجل واحد.. فالذى يعتقده هو فرد .. فرد ضد العالم أجمع، فإذا تناول هذا الفرد سيفا.. وقام فى وجه الدنيا فقلما والله يضيع. وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال أو لم تروا أن النصرانية كانت لاتأفف، أن تستخدم السيف أحيانا وحسبكم ما فعل شارلمان بقبائل السكسون.

● إذن لابد للحق من قوة..؟

كارلايل: نعم لقد جاء محمدﷺ وشيَع النصارى تقيم أسواقا للجدل، ولكن الاسلام جاء على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فقضى عليها وأبطلها..

● لماذا يا مستر كارلايل؟

كارلايل: لأنه حقيقية خارجة من قلب الطبيعة وما كاد يظهر الاسلام حتى أحترقت فيه وثنيات العرب وجدليات الملل الأخرى وكل ما لم يكن بحق فإنها حطب ميت أكلته نار الاسلام.

●●●

● ومنذ البداية كان الرسول الكريم محمدﷺ يكره الوثنية ويبحث عن الحق ببصيرته وفى دار أبى طالب عم الرسول يجلس أبو جهل وأبو سفيان وبعض قريش يتحدثون فقال أبو جهل لأبى طالب..

أبو جهل: يا أبا طالب أراك شرفا ومنزلة فينا وأن أبن أخيك محمدا قد عاب ديننا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه.

أبو طالب: يا بنى قومى يعظم على فراقكم وأعوانكم غير أنى لا أطيب نفسا باسلام ابن أخى محمد ولا أخذله.

أبو جهل: لى رأى تسمع منى.

أبو طالب: قل ياأبا جهل.

أبو جهل: ما دمت لا تريد خذلان ابن أخيك فهذا عمارة ابن الوليد أقوى فتى فى قريش فخذه فلك عقله وبصره واتخذه ولدا فهو لك واسلم الينا ابن أخيك محمدا هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك فنقتله فإنما هو رجل برجل..

أصوات: نعم الرأى.. نعم الرأى.

أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابن أخى تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا..

أبو جهل: (فى غضب) هلموا بنا.. هلموا..

(وأقبل الرسول الكريم على عمه أبى طالب يسأله عما يشغله فقال أبو طالب..)

أبو طالب: يا أبن أخي إن القوم قد جاءونى فى أمر هذا الدين الذى جئت به وأجمعوا على فراقى فابقى على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق.

● وقال الرسول محمد قولته الشهيرة..

يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته. أخاذلى أنت يا عماه..؟

أبو طالب: (فى عزم وقوة) كلا ... أذهب يا أبن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا..

●● وظل توماس كارلايل فى كتابه الأبطال يفنّد أكاذيب الكافرين بالرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلوات بالأدلة والبراهين إلي أن قال فى نهاية دراسته: لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات إلى النور، وأرسل الله لهم نبيا بكلمة من لدنه ورسالة من قبله، فإذا الخمول قد استحال شهرة، والضعة رفعة، والضعف قوة. ولطالما قلت أن الرجل العظيم كالشهاب من السماء وسائر الناس فى انتظاره.. كالحطب فما هو إلا أن يسقط حتى يتأججوا ويلتهبوا..

الخالدون مائة أعظمهم محمد

مايكل هارت

أول اسم فى الخالدين هو محمدﷺ. والمؤلف ليس مسلما ولا يعرف إن كان مسيحيا أو يهوديا أو ملحدا ولكنه باحث أمريكى اسمه مايكل هارت.. وهو عالم فلكى رياضى يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكية. استعرض الرجال العظماء فى التاريخ ووجد أن أعظمهم وأخلدهم بكل المقاييس هو النبى الأمى محمد رسول الله.

أما أساس اختيار هؤلاء العظماء فهو شخص الرجل والأثر الذى تركه ومدى اتساع هذا الأثر وعمقه وان كان لا يزال موجوداً حتى اليوم.

أوقد رأى المؤلف أن محمداًﷺ هو أعظمهم وأعمقهم.. وأوسعهم أثراً وإنه لم يحدث فى التاريخ ان اكتمل دين بكل عناصره.. الفلسفية والأخلاقية والتشريعية سوى الإسلام. وأن هذا الدين قد كمل تماماً فى حياة صاحب الدعوة وأن الدين قد انتصر فى حياته واتسع بعد وفاته حتى أصبح المسلمون ٣٠٠ ملوناً فى جميع أنحاء العالم.. وضع مايكل هارت كتابه «الخالدن مائة وأعظمهم محمد رسول اللهﷺ»، ولماذا وكيف؟ فى هذا الحوار مع مايكل هارت نعرف الإجابة.

● لقد اخترت محمداً ﷺ فى أول كتابك المائة الخالدون.. لماذا يامستر مايكل؟

■ مايكل: لابد أن يندهش الكثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق فى ذلك ولكن محمداً ﷺ هو الانسان الوحيد فى التاريخ الذى نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الدينى والدنيوى.

● نريد توضيحاً يامستر مايكل؟

■ مايكل: لقد دعا الرسول محمد إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً وبعد ١٣ قرناً من وفاته فإن أثر محمد ﷺ.. مايزال قوياً متجدداً.

● انك عالم فلكى رياضى وتعمل فى هيئة الفضاء الأمريكية وهويتك دراسة التاريخ فما هى المقاييس التى اعتمدت عليها فى اختيار شخصياتك المائة؟

مايكل: لقد لاحظت من بين عشرات الألوف من ملايين الناس لم تذكر دوائر المعارف كلها سوى عشرين ألف شخص كان لهم أثر فى بلادهم وفى البلاد الأخرى وفى التاريخ الإنسانى وأنه حدث عندما كان الفيلسوف الفرنسى ڤولتير فى بريطانيا أن اشترك فى مناقشة موضوعها من هو الأعظم: الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر أو

القائد الأغريقى الاسكندر الأكبر أو القائد المغولى تيمور لينك أو الزعيم البريطانى كروميل.

● وماذا كان الجواب؟

مايكل: كان رد ڤولتير فعلاً نيوتن أعظم لأنه يحكم عقولنا بالمنطق والصدق وهؤلاء يستعبدون عقولنا بالعنف ولذلك فهو يستحق عظيم الاحترام.

● وكيف اخترت شخصيتك يامستر مايكل؟

مايكل: لقد اعتمدت فى اختيار شخصياتى على عدة أسس من بينها أن الشخصية يجب أن تكون حقيقية.

● حقيقية... وهل هناك شخصيات غير حقيقية؟

مايكل: نعم. فهناك شخصيات شهيرة وبعيدة الأثر ولا يعرف أحد إن كانت قد عاشت أو لم تعش.

● مثل من؟

ما يكل: مثل الحكيم الصينى لاونسو.. لا أحد يعرف هل هو إنسان أو أسطورة.. والشاعر الاغريقى هوميروس.. لا أحد يعرف إن كان حقيقية. والشاعر الاغريقى (إيسوب) صاحب الامثال والحكم هو أيضا لا نعرف إن كان قد عاش.

● وهل استبعدت هذه الأسماء؟

مايكل: نعم.. واستبعدت أيضاً عدداً كبيراً من المجهولين مثل أول من اخترع النار وأول من اخترع العجلات وأول من اخترع الكتابة واستبعدت أيضاً كل الأشخاص الأحياء أياً كانت آثارهم البالغة.

● لماذا؟

مايكل: لا أحد لا يعرف بعد. كم تعيش آثارهم على بلادهم أو على الإنسانية، فالمستقبل غيب ومن أسباب اختيارى للأشخاص أن يكون الشخص عميق الأثر سواء كان هذا الأثر طيباً أو خبيثاً. وقد اخترت هتلر مثلاً لأنه كان عبقرية شريرة المهم أن تكون الشخصية لها أثر عميق متجدد على شعبها وعلى تاريخ الإنسانية ولذلك فقد اخترت محمداًﷺ فى أول هذه القائمة

●●●

وأكثر هؤلاء الذين اختارهم مايكل هارت قد ولدوا ونشأوا فى مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً إلا محمداًﷺ الذى ولدسنة ٥٧١ ميلادية فى مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية فى منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة.. والحضارة والثقافة والفن.

وقد تعرض مايكل هارت إلى حياة الرسول الكريمﷺ الذى مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود وأمه وهو فى السادسة من عمره. وكانت نشأته فى ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب.

ولم يتحسن وضعه المادى إلا فى الخامس والعشرين من عمره عندما تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها ولما قارب الأربعين من عمره كانت هناك أدلة كثيرة على أن الرسول الكريم كان صاحب شخصية فذة، بين الناس وقد امتلأ قلبه إيماناً بأن الله واحد أحد وأن وحياً ينزل عليه من السماء وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس.

ويستعرض مايكل هارت سيرة الرسول الكريم والبيئة التى عاش فيها فيقول: لقد كان أكثر العرب فى ذلك الوقت وثنيين يعبدون الأصنام وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى وأمضى محمدﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس وفى ٦١٣ ميلادية أذن الله لمحمدﷺ بان يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد.. فتحول قليلون إلى الإسلام.

ويتتبع مايكل هارت سيرة الرسول الكريم محمدﷺ ففى ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسولﷺ إلى المدينة المنورة وهى تقع على مدى ٢٠٠ كيلو متر من مكة المكرمة. وفى المدينة المنورة اكتسب الأسم مزيدا من القوة واكتسب رسوله عددا كبيرا من الأنصار.

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول فى حياة الرسولﷺ. واذا كان الذين تبعوه فى مكة قليلون فإن الذين ناصروه فى المدينة كانوا كثيرين.

وبسرعة اكتسب الرسول الكريمﷺ قوة ومنعة. وأصبح محمدﷺ أقوى وأعمق أثرا فى قلوب الناس. وفى السنوات التالية تزايد عدد المهاجرين والأنصار، واشتركوا فى معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار وانتهت كل المعارك فى سنة ٦٣٠ ميلادية بدخول الرسول مكة منتصرا.

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة، شهد محمدﷺ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، ولما توفى الرسولﷺ كان الإسلام قد انتشر بين الناس فى جنوب شبه الجزيرة العربية.

ويقول مايكل هارت ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ، أن يوحد بين العرب وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا إلى الأله الواحد الأحد. ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة من أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية، فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالى شبه الجزيرة العربية وشملت الأمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة الأمبراطورية الرومانية الشرقية.

كان العرب أقل بكثير جدا من كل الدول التى غزوها. فقد سحقوا القوات الفارسية فى موقعة القادسية سنة ٦٣٧ ميلادية وكذلك فى موقعة نيذوى فى ٦٤٢ ميلادية وفى عام ٦٤٢ ميلادية انتزع العرب أيضا مصر وأنقذوا أهلها من الأمبراطورية البيزنطية.

وفى عام ٧١١م اكتسحت القوات الإسلامية شمال افريقيا حتى المحيط الأطلسى ثم اتجهت بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبروا إلى أسبانيا.

واستطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه رسوله الكريم ان يقيموا امبراصورية اقيمت فى التاريخ حتى اليوم وانتشر الاسلام بين الناس.

ويدور حوار مع مايكل هارت:

● ربما بدا شيئا غريبا حقا فى كتابك يامستر مايكل وهو أن يكون الرسول محمدﷺ على رأس هذه الشخصيات المائة التى اخترتها فى كتابك بينما «سيدنا عيسى بن مريم» عليه السلام هو رقم ٣ وسيدنا «موسى» عليه السلام رقم ١٦.

مايكل: لدى عدة أسباب من بينها ان الرسول محمدﷺ قد كان دوره اخطر واعظم فى نشر الاسلام وتدعيمه وارساء قواعد تشريعية اكثر مما كان لعيسى عليه السلام فى الديانة المسيحية.

● كيف؟

مايكل: على الرغم أن عيسى عليه السلام هو المسئول عن مبادىء الأخلاق المسيحية غيران القديس بولس هو الذى أرسى أصول الشريعة المسيحية وهو أيضا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى كتاب العهد الجديد من الكتاب المقدس. أما الرسولﷺ فهو المسئول الأول الأوحد عن إرساء قواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعى والأخلاقى وأصول المعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية. كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده. وفى القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون اليه فى دنياهم وآخرتهم. وكان الرسولﷺ على خلاف عيسى عليه السلام رجلا دنيويا فكان زوجا وأبا وكان يعمل فى التجارة ويرعى الغنم وكان يحارب ويصاب فى الحروب ويمرض ثم مات.

● وماذا عن المستوى الدينى؟

مايكل: على المستوى الدينى كان أثر محمدﷺ قويا فى تاريخ البشرية وكذلك كان عيسى عليه السلام وهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذى جعلنى أومن بان محمداﷺ هو اعظم الشخصيات اثرا فى تاريخ الانسانية كلها.


عبقرية محمد ﷺ
محمود عباس العقاد

نواصل معاً إلقاء العديد من الأضواء على شخصية الرسول الكريم محمدﷺ ومن الكتاب والمفكرين الذين ساهموا فى إلقاء من الأضواء.. الكاتب الكبير الراحل عباس محمود العقاد فى كتابه «عبقرية محمد».

● ماذا كان يقصد عباس العقاد من وضع كتابه هذا؟ بعد أن صدرت العديد من الكتب عن الرسول الكريم؟

■ لقد كان الحكيم والمازنى فى جلسة مع بعض الاصدقاء فى مجلس الأدب والفكر.. وبعض الشباب الذين انبهروا بالثقافة الغربية.. وقنعوا بتمجيد «كارلايل» للنبى محمدﷺ وهو كاتب غربى لا يفهمه حق الفهم كما نفهمه، ولا يعرف الإسلام كما نعرفه.. وسأل بعض الأصدقاء العقاد.. لماذا لا تضع لقراء العربية كتابا عن محمدﷺ.

● ولم يتم وضع الكتاب.. إلا بعد ثلاثين عاما.. وأين كان قبل تلك السنين الثلاثين ويقول العقاد نفسه:

العقاد: انها مسافات فى عالم الفكر والروح.. لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار وامتداد النظر بغير قرار.. كم رأى؟ كم مذهب؟ كم وسواس؟ كم محنة.. كم مراجعة.. كم زلزال يتضعضع له الكيان وتميد معه الدعائم والاركان؟ كم؟ وكم فى ثلاثين سنة؟ وكم يضيف ذلك كله إلى الشباب الباكر.. الذى كان يحلم يومئذ بالعظمة فى كل أوج.. وبالأوج المحمدى فى عليا مراتب الأنبياء؟

الخيرة فى الواقع.

الخيرة فى ذلك التأخير.

قد حفلت «المكتبة المحمدية» بالعديد من وقائع السيرة، والعقاد لم يقصد وقائع السيرة لذاتها.. وليس شرحا للإسلام أو لبعض أحكامه، أو دفاعا عنه، أو مجادلة لخصومه.. فماذا كان يقصد العقاد..؟

العقاد: ان كتابى تقدير «لعبقرية محمد» بالمقدار الذى يدين به كل انسان ولايدين به المسلم وكفى، وبالحق الذى يثبت له الحب فى قلب كل انسان، وليس فى قلب كل مسلم وكفى. فمحمدﷺ هنا عظيم.. لأنه قدوة المقتدين فى المناقب التى يتمناها المخلصون لجميع الناس.

عظيم.. لأنه على خلق عظيم..

قبائل قريش مجتمعة عند الكعبة، أعرابي وراع يرعى غنمه على مقربة منهم..

الأعرابي: من هؤلاء؟

الراعي: تلك قبائل قريش يختصمون.

الأعرابي: فيم يختصمون؟

الراعي: في بناء الكعبة.. كل قبيلة تريد أن تضع الحجر الأسود في ركنه المعهود دون الأخرى.

الأعرابي: أرى واللات.. انهم يتحاورون ويتحالفون.. استعدادا للقتال.

الراعي: أجل.. لقد مررت بهم الساعة أسوق غنمي فوجدت بني عبد الدار قد قربوا جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديم في ذلك الدم.

الأعرابي: هلم بنا قبل أن يستفحل الخطب.. انني أرى أمية ابن المغيرة ينهض في قريش..

أبو أمية: يامعشر قريش.. أحقنوا دماءكم واجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد.. يقضي بينكم فيه..

أصوات قريش: رضينا..

أبو أمية: أرى غلاما داخلا..

أصوات قريش (صائحين) هذا الأمين.. هذا محمد.

أبو أمية: أترضون حكمه؟

أصوات قريش: نعم.. نعم..

أبو أمية: (صائحا) يامحمد.. نعلم أنا كنا قد أجمعنا رأينا على بنيان الكعبة، وأن القبائل جمعت الحجارة لقبائلها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم شيدناها حتى بلغ البنيان موضع الركن كما ترى.. فاختصمنا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى كاد ينشب بيننا القتال.. وقد رأينا الآن أن نحتكم اليك فى أمره فاحكم بيننا بما ترى..

وقال محمدﷺ: هلم إلى بثوب..

أبو أمية: ائتوه بثوب..

الأعرابى: لقد أحضروا ثوبا.. اننى أرى محمدا وهو يفرشه على الأرض.. ويأخذ الحجر الأسود.. اننى أرى محمدا وهو يفرش على الأرض .. ويأخذ الحجر الأسود.. ويضعه فيه بيده..

وقال محمد: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم أرفعوه جميعا..

أبو أمية: (فرحا) مرحى.. مرحى.. لقد حقنت دماء العرب يامحمد.. مرحى.. مرحى..

● ●

● ياحبيبى يامولاى.. يارسول الله.. ياشفيعنا يوم القيامة والفرقان.. وأنك حقا الأمين.. وأنك لعلى خلق عظيم.. وإيتاء العظمة حقها لازم فى كل آونة وبين كل حين وحين.. ولكننا فى هذا الزمان الزم منه فى أزمنة أخرى.. وفى هذا الحوار مع عباس العقاد فى

كتابه «عبقرية محمد» نتعرف على الجواب.

● يقولون اننا فى حاجة إلى إيتاء العظمة حقها.. وخاصة عظمة الرسول الكريم محمدﷺ .. فلماذا؟

العقاد: هناك سببان متقاربان.. أحدهما أن العالم اليوم أحوج مما كان إلى المصلحين النافعين لشعوبهم وللشعوب كافة.

● والسبب الآخر؟

العقاد: والسبب الآخر أن الناس قد اجترأوا على العظمة فى زماننا بقدر حاجتهم إلى هدايتها.

● لاشك فى أن هذا آفة تهبط بالخلق الإنسانى؟..

العقاد: نعم.. وتهبط أيضا بالرجاء فى اصلاح العيوب الخلقية والنفسية.. إلى مادون الحقيقى، فماذا يساوى أنسان لا يساوى الإنسان العظيم شيئالديه؟ وإذا ضاع العظيم بين الناس، فكيف لا يضيع بينهم الصغير..؟

● لهذا كان تقدير محمدﷺ بالقياس الذى يفهمه المعاصرون؟

العقاد: نعم.. ويتساوى فى اقراره المسلمون وغير المسلمين، نافعاً فى هذا الزمان الذى التوت فيه مقاييس التقدير..

● اذن فهو نافع لمن يقدرون محمداﷺ ؟

العقاد: وليس بنافع لمحمد أن يُقدِّروه.. لأنه فى عظمته الخالدة لا يضار بانكار.. ولا ينال منه بغى الجهلاء إلا كما نال منه بغى الكفار..

● وما حسبك من عبقرية محمدﷺ؟

العقاد: حسبنا من «عبقرية محمد» أن يقيم البرهان على أن محمدا أعظم فى كل ميزان.. عظيم فى ميزان الدين، وعظيم فى ميزان العلم، وعظيم فى ميدان الشعور وعظيم عند من يختلفون فى الطبائع الآدمية..

● ان عمل محمدﷺ لكاف جادالكفاية لتخويله المكان الاسنى من التعظيم، فلماذا كان فى رؤيتك أستاذنا العقاد؟

العقاد: لأن الرسول محمدﷺ نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله، ولم تكن أصناما كأصنام اليونان يحسب للمعجب بها ذوق الجمال، ولكنها أصنام شائهات كتعاويذ السحر التى تفسد الأذواق وتفسد العقول.. فنقلهم محمد من عبادة هذه الدمامة إلى عبادة الحق الأعلى..

عبادة خالق الكون الذى لا خالق سواه، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة، ومن فوضى إلى نظام، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة انسانية، ولم ينقله قبله ولابعده أحد من أصحاب الدعوات..

● أستاذنا العقاد. . لقد قلت إن التعظيم حق «لعبقرية محمد» ولو لم تقترن بعمل محمد.. فماذا كنت تقصد بالعبقرية هنا؟

العقاد: ان العبقرية قيمة فى النفس قبل ان تبرزها الأعمال ويكتب لها التوفيق، وهى وحدها قيمة يغالى بها التقويم.. فإذا رجح بمحمد ميزان العبقرية، وميزان العمل، وميزان العقيدة، فهو نبى عظيم، وبطل عظيم.. وحسبنا من كتابنا هذا أن يكون.. بنانا توميء إلى تلك العظمة فى آفاقها.

محمد ﷺ .. رسول الحرية

عبد الرحمن الشرقاوى

• ان الفقراء والمستضعفين يشعرون فى أعماقهم بأنهم فى حاجة إلى أسلوب ينظم علاقة الناس ببعضهم، فى حاجة إلى قيم روحية جديدة تعكس تطور هذا المجتمع الذى يشكلونه، فلو أنهم لم يعملوا لما غَنِى السادة، ومع ذلك فقد كتب عليهم الحرمان، والهوان كما تكتب اللعنة.

يجب أن تصاب نفس الإنسان من الهوان وأن يصاب بدنه من الأذى.. يجب أن يحترم عهده وحق أخيه الإنسان.. لكل انسان الحق فى أن يعيش حرا.

وشاعت دعوة محمدﷺ بين الأُجراء المستضعفين والعبيد يوما بعد يوم.. أخذ يعتنقونها ويستعدون لجعل تعاليم محمد هى دستور العلاقات فى مكة.

انها تمنح العبد حق الحرية، وتُلزم السيد بأن يذعن للعبد الذى يريد أن يتحرر، أن يتركه يعمل بأجر ليشترى حريته.

وهى تجعل للفقير حقا من مال الغنى.. وهى تضمن للمرأة حياة أخرى. الأنثى كالذكر.. خلقها الله من نفس واحدة.. ليست الأنثى اذن كما تزعم التقاليد ثمرة الخطيئة فى الأرض، وممثلتها، وأداتها.

وهذه التعاليم تنهى الأباء والأزواج.. عن إكراه فتياتهم على البغاء. وهى تكفل للمرأة حياة متكافئة مع زوج يسكن إليها، وينفق عليها ويعاشرها بالمعروف، ويسرحها بالمعروف.. ويدفع لها مهرا عند الزوج.. ونفقة بعد الطلاق..

وفى هذا الحوار بين (أبو جهل) وسمية، نرى ماذا يفعل الإسلام بالنفس البشرية.

أبو جهل: ياسمية أم عمار.. لماذا نزعت رايتك من فوق بيتك؟

سمية: ماشأنك يا أبا جهل؟

أبو جهل: ما شأنى...

.. وأين نجد المتعة بعد ذلك؟

سمية: لقد مضى ذاك العهد.. ياأبا جهل.

أبو جهل: لقد عرفت نساء كثيرات.. ولكننى أعشقك يا سمية.. وأن رايتك التى كنت ترفعينها فوق بيتك.. كانت تشرح قلوبنا نحن الرجال.

سمية: قلت لك ياأبا الحكم.. لقد ولّى هذا العهد.

أبو جهل: إن الرجال يعشقون جمالك، ومسراتك.. ولهوك.

سمية: لقد تزوجت رجلا صالحا.. يا أبا جهل.. فدعنى وشأنى.

أبو جهل: تزوجت؟ كيف.. ولماذا؟.. وأين يذهب عشاقك من الرجال.. وهل تخلّيت عن المال الذى كنا نرميه تحت قدميك..

سمية: أعوذ بالله من الخطيئة بعد ذلك.

أبو جهل: أوسحرك محمد أنت كذلك.

سمية: بل قل.. إنه هدانى إلى طريق الله سبحانه وتعالى.. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أبو جهل: سأخرج وأنت معى يا سميه.. أيها الرجال يا عشاق سميه أخرجوها إلى الطريق لنضربها.. ونقذفها بالحجارة.

سميه: أتركونى يا أعداء الله.

أبو جهل: أرجعى إلى ما كنت عليه يا سميه وسوف نتركك تنعمين بالمال والجاه.

سميه: لا أشرك بالله أبدا وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أبو جهل: أيتها الفاجرة سأقتلك إن لم ترجعى.. أيها الرجال أعطونى حربة لأغرسها فى بطنها أعطونى حربة.

سميه: أو تحاربون محمدا لأنه يهديكم إلى طريق الله والنور والعدل.

أبو جهل: اخرسى يا فاجرة خذى هذه الطعنة فى بطنك.

(صرخة ألم).

وهذه الطعنة.. وهذه الطعنة.

(ضحكات.. قهقهات)

•••

وكانت سمية أم عمار.. أول شهيدة للدين الذى دعا إليه محمدﷺ رسول الحرية. وتوالى الشهداء وتعذب الذين آمنوا بمحمد كثيرا.

وتكاثر الألم على الرسول الحبيب المصطفى فقد أتت رقية بنت محمد إلى خديجة باكية. لقد طلقها عتبة بن أبى لهب، واعتدى عليها أبو لهب فضربها. ومازالت أم جميل امرأة أبى لهب تحض جواريها على وضع الأشواك والنفايات فى طريق الحبيب المصطفى وبالغت فى إيذائه.

وتربصت له بعض جواريها وهن يحملن أحجارا يلقينها عليه حين يمر.. تبًا يدا أبى لهب وتبْ ﴿تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد﴾

امرأة: يا حمزة بن عبد المطلب.

حمزة: ماذا وراؤك يا امرأة..

امرأة: لماذا تذهب بنفسك هكذا يا سيد فرسان قريش وابن أخيك محمد.. يمتهن ويشتم.

حمزة: ماذا تقولين يا امرأة؟

امرأة: إننى رأيت أبا جهل ومعه صحابه يهينون محمدا.. وأتى الكعبة مزْهوا يروى ما فعله بمحمد.. إنه هناك جالس بين أصحابه.

حمزة: أوفعل هذا؟! إننى سأقتله.

(أصوات خطوات)

يا أبا جهل خذ هذه الضربة فوق أم رأسك بقوسى هذا.

أصوات: ما هذا.. ما هذا.. ماذا تفعل يا حمزة بأبى لهب.

حمزة: أتشتم محمد.. وأنا على دينه أقول مايقول أتستطيع أن تشتمنى.. خذ هذه الضربة.

أصوات: هيا نقتل حمزة.

أبو لهب: دعوه... دعوا حمزة فانى قد سببت محمدا ابن أخيه سبا قبيحا.

●●

أصوات: هيا بنا يا رجال هيا.

صوت: ما الحيلة فى محمد بعد؟

صوت: مازال أبو طالب يحميه، وبنو هاشم إذا جد الجد ينتصرون له.

صوت: وهاهى ذى دعوته تتسلق أسوار مكة وهضابها لتشيع فى القبائل الأخرى.. دوس، وبنى غفار.

صوت: ومن يدرى ماذا يحدث غدا؟

صوت: ومحمد يتلو الآن تعاليمه فى المسجد ولايبالى.

صوت: لقد علمت أن بعض رجال قريش قد ذهبوا إلى عمه لآخر مرة ليروا معه رأيا فى أمر محمد.

●●

وذهب الحبيب المصطفىﷺ «الى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام ولكنهم قد علموا قبل أن يأتى إليهم أنه يحرم الربا ويستنكر الخمر ويحض الناس على كراهية لحم الخنزير. وكانت أموالهم تتكون من الربا وكانت خير تجارة يكسبون منها هى الخنزير. وأدركوا أن وجوده بينهم سيغرى الضعفاء والفقراء بأن يطالبوا بالحرية..

فنبذوه وأغروا به العبيد يقذفونه بالحجارة المسنونة وسال دمه وظل يسيل على أرض الطائف وهم يطاردونه بالحجارة وجلس فى مكان ناء والدم ينزف من قدميه ودعا قائلا..

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلّة حيلتى وهوانى علِي الناس.. يا أرحم الراحمين أنت ربُّ المستضعفين وربى، إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهّمنى، أم إلى عدوٍّ ملّكته أمرى ان لم يكن بك علىَ غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له

الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة إلا بك»

يا حبيب الرحمن وشفيعنا يوم القيامة والفرقان. سيدى ومولاى سيدنا محمد عليك أفضل الصلاة وأزكى السلام يا من أكرمنا بوجودك الله.. وانتشار اسلامك على الناس أجمعين..

وكانت رحلة الأسراء والمعراج أعظم تكريم من الله سبحانه وتعالى لحبيبه المصطفى عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام.

وتحرر العبيد وانتشر الإسلام وارتفعت راية الحرية واستعاد الإنسان كرامته وقد سئل عبد الرحمن الشرقاوى عن رؤيته فى كتابه محمد رسول الحرية فقال: أنا لا أقدم كتابا جديدا فى السيرة فمكتبة السيرة غنية زاخرة بالمؤلفات القديمة والحديثة ولكنى أردت أن أصور قصة انسان أتسع قلبه لآلام البشرية ومشكلاتهم وأحلامهم وكونت تعاليمه حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طويلة.


محمد ﷺ .. رسول الحرية
عبد الرحمن الشرقاوى

●● يا حبيب الرحمن.. وشفيعنا يوم القيامة والفرقان، يا قدوة لكل البشر أجمعين.. وصدق من قال:

«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة»

يا حبيبى يا رسول الله. والإنسان فى هذه الحياة الصحراوية.. كالتائه فى حاجة إلى من يروى عطشه.. ولا نبع له فى هذا الوجود ليرتوى منه.. إلا نبع الحب.. القرآن الكريم.. ومحمدﷺ.

نواصل معا.. رحلتنا مع الرؤى الجديدة فى السيرة العطرة عن الرحيق المختوم، خاتم الأنبياء والمرسلين.

وكاتبنا اليوم عبد الرحمن الشرقاوى .. وكتابه «محمد .. رسول الحرية».

●● يا يتيما ضم للصدر إليه كل أبناء الحياه. يا معزا للحيارى، يا مذلاً للطغاة. يا محيلا كلّ صحراء على الأرض، وفى النفس بساتين صلاة. يا محيطا دورة الأرض برايات الدعاة. ويكبر فى الحياة.

يا محمد.. يا محمد.. يا محمد..

●●

كان عبد المطلب قبل أن يرزق الولد قد تعرض لبلاء كثير، وما من ولد سانده، حين همّ بأن يحفر بئر زمزم. خاصمته قريش فى البئر ولم تساعده ولكنه استمر يحفر البئر وحده حتى تفجر الماء منها كما كان على عهد اسماعيل.. وبلّل عبد المطلب جبينه من العرق، واتجه إلى آلهة الكعبة، وقال «أيتها الآلهة.. إننى أطلب رضاك.. لئن رزقْت بعشرة من الأولاد.. يشدون أزرى، لأنْحَرَنّ أحدهم عند الكعبة.. شكرا..وقربانا..»

فلما بلغ بنوه عشرة بمولد عبد الله، وأدرك عبد الله مبلغ الرجال. جمع عبد المطلب أولاده العشرة، وذهب بهم إلى الكعبة، وقف أمام تمثال هبل كبير آلهة الكعبة، ومن حوله بعض الصحاب، وأهل مكة.. وقال عبد المطلب لبنيه:

ياأبنائى.. لقد جمعتكم الآن لكي أوفّى بنذرى للآلهة.. ولابد أن

أذبح أحدكم وفاءً لهذا النذر القديم.. وسوف أجرى القرعة بينكم بضرب القداح.

●●

صوت: لقد خرج القدح على عبد الله..

عبد المطلب: الآن.. يجب أن أذبح عبد الله.

أصوات: كلا يا أبتاه.. كلا يا أبتاه..

عبد المطلب: قفوا مكانكم.. لا يمنعنى أحد من ذبح عبد الله..

صوت: ما هذا يا عبد المطلب. أتذبح ابنك الذى تحبه..

عبد المطلب: لا يمنعنى أحد من ذبح عبد الله.. وفاء للنذر.. إنه قضاء الآلهة..

صوت: تمهل يا عبد المطلب.. ما هكذا تفعل..؟

صوت آخر: «صارخا» لئن فعلت هذا يا عبد المطلب.. فسوف يأتى الرجل منا بابنه حتى يذبحه وفاءً للنذر..

صوت: لابد أن نجد حلا لننتقذ رأس ابنك عبد الله ويرضى هُبل فى نفس الوقت.

عبد المطب: لابد من ذبح عبد الله تحت قدمى هُبل..

صوت: إننى أقترح عليك رأيا يا عبد المطلب..

صوت آخر: ما هو؟

صوت: تفدى عبد الله بالمال..

عبد المطلب: لا .. لابد من الذبح..

صـوت: هناك رأى آخـر .. وهو أن تذهب إلى عـرافـة يثـرب.. فتسألها قبل أن تذبح عبد الله.. فهى التى عندها الحل الذى يرضى هبل.. وربما يكون هناك الفرج..

أصوات: نعم الرأى.. هيا بنا.. هيا بنا يا عبد المطلب..

●●

العرافة: ما هى ديّة الرجل عندكم؟

صوت: عشرة من الإبل.

العرفة: أرجعوا إلى بلادكم ثم قرّبوا صاحبكم من هُبل، وقربوا عشرا من الإبل، ثم أضربوا عليها وعليه القداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروا عنه.. فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم..

أصوات: (صائحين) باركتك الآلهة.. باركتك الآلة..

صوت: هيا أضربوا القداح.

صوت آخر: لقد خرجت على عبد الله.

عبد المطلب: أيتها الآلهة انقذى ابنى عبد الله.. إنه أحب أبنائى.

صوت: أضربوا القداح مرة أخرى.

صوت آخر: لقد خرجت على عبد الله.

صوت: زيدوا عشرة من الإبل.. وأضربوا القداح..

صوت: لقد بلغت الإبل مائة..

صوت: أضربوا القداح..

أصوات لقد خرجت القداح على الإبل.. (صائحين) لقد نجا عبدالله.. لقد نجا عبد الله..

عبد المطلب: انحروا الإبل المائة جميعا.. واتركوها للآكلين.. لا يصد عنها إنسان ولا سبع!!.

... وأنطلق عبد المطلب آخذا بيد ولده عبد الله.. وها هو ذا يستقبل الحياة مرة أخرى، بعد نضال طويل مع المصير.. وتدور الأسئلة الحائرة فى ذهن عبد الله.. وهى يمشى مع أبيه عبد المطلب..

إلى متى يا عبد الله يساق الرجل للذبح لأن قدحا طائشا أصم وقع عليه؟!.. ألأن الأباء يريدون أن يشكروا إلها يتعطش أبدا إلى الدم.. يجب حقا أن تسقط رءوس الأولاد؟!..

ولكن عبد الله ـ ككل الفتيان في قريش ـ لم يكن يستطيع أن يرفع الرأس فى وجه أبيه.. فأبوه يملكه كله. يملك حتى حياته!.. وحياة أبيه نفسها رهن بقضاء هبل.

كان من الممكن أن تأمر عرافة يثرب بذبح عبد الله.. وما دامت هى التى اختصت بتفسير إرادة الآلهة، وما دامت هى وحدها التى تستطيع أن تتعرف على ما يرضي تلك التماثيل من حجر، فما من أحد يجرؤ على المخالفة عن أمرها.. حتى سراة قريش الذى حاولوا أن يفتدوه بمالهم.كيف الخلاص إذن من هذا كله؟!.

وبدلا من أن يعود عبد المطلب بابنه إلى البيت، عدل عن طريقه، ومضى إلى دار وهب بن عبد مناف سيد بنى زهرة، فخطب ابنته «آمنة»لأبنه عبد الله.. ووافق وهب وتزوج عبد الله وآمنة فى نفس

اليوم.. كان عبد الله قد جاوز السابعة عشرة بقليل.. وآمنة أصغر منه بنحو عامين..

وخرج عبد الله يطلب رزقه مع قافلة الصيف. ولكن اشتدت عليه العلة. ثم أنطفأت جذوة الحياة في صدره. قبل أن يعود إلى مكة ليري «آمنة». ورقد عند أخواله بني النجار، ووضعت آمنة بعد ذلك حملها.. وجاء ولدا.. وحرصت على ألا يراه أحد إلا جده عبد المطلب، فكان أول من نظر إلى وجه حفيده.. الذى أختارت له أمه اسم محمد، لكي يحمد حمدا بعد حمد، ففي ظلام مكة الجائر العقيم المضني.. الملئ بالفساد والعبودية، والفقراء ولد الهدى.. محمد بن عبد الله بن عبد المطلب..

كانت مكة سوقا للتجارة وتبادل الثقافة والمتاع. وإلى جوار أثرياء مكة، يعيش عشرات الآلاف من الفقراء.. بلا طعام.. وكانوا عبيدا.. وبعضهم رفض العبودية والعار، فهرب إلى البادية وأنشأ هؤلاء دولة الصعاليك، تهاجم قوافل الأغنياء، وتحترف القتل.

وجاء محمدﷺ .. رسول الحرية.. ليخلّص هؤلاء جميعا.. من العبودية.. إلى نور الحق سبحانه وتعالى.. إلى نور الإسلام.. فكيف حدث ذلك؟ ويستعيد عبد الرحمن الشرقاوى في كتابه «محمد رسول الحرية» وقائع السيرة المحمدية. منذ أن نزل عليه الوحي.

وفي تلك الليلة من رمضان.. ومحمد في غار حراء.. أغض قليلا، فنام.. فرأى من يعرض عليه كتابا ويطلب منه أن يقرأ.. فقال له: ما أنا بقارئ؟

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

وعندما، استيقظ من نومه كان يحفظ ما سمعه فى النوم.. ولَهوَ يستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه إذا به وهو بين اليقظة والنوم، كأنه يسمع صوتا من بعيد يقول له:« يا محمد.. أنت رسول الله وأنا جبريل».

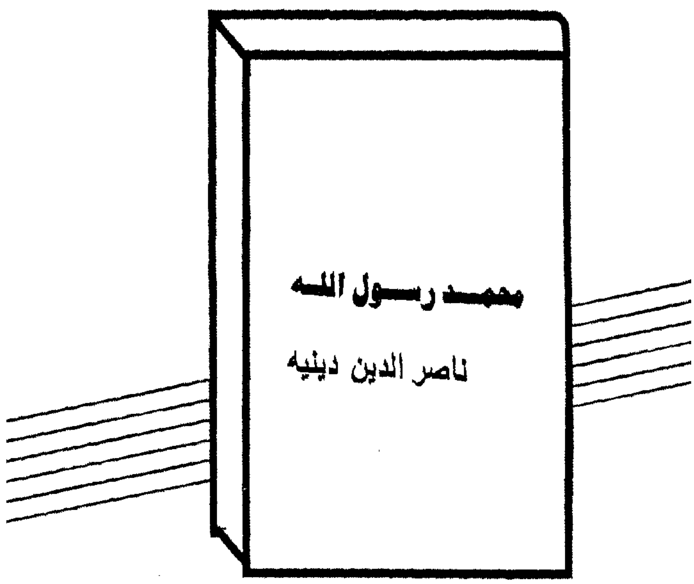
●● ما كلن هذا..؟!.. إنه ليخشي أن يكون كاهنا، أو يكون به مس من جن.. من يصدقه.. ماذا يريد جبريل؟ .. وهو رسول الله إلى من..؟ .. وماذا يحمل إلى الناس؟.. إن جبريل لم يحدثه فى شئ مما يفكر فيه.. لم يحدثه عن المعذبين، ولا عن العالم المضطرب الذى ينشد خلاصه..!!

ولكن خديجة الزوجة البارة الحانية، ظلت تدخل الطمأنينة إلى قلبه وتؤكد له أن الأذى لا يمكن أن يصيبه لأنه لم يصنع أذى لأحد، وصدقته، وكذلك ابن عمه الغلام على بن أبى طالب، وأيضا مولاه زيد بن حارثه، وأبو بكر بن أبى قحافة صديقه الصدوق. وبشره الرجل الصالح ورقة بن نوفل... بأنه سيعذب، ويؤذى، ويقاتل. ولكن ماذا بعد؟!..

على أى شئ صدقه هؤلاء جميعا، وبم يبشره وينذره ورقة؟.. وبعد شهور.. وشهور من التأمل والضنى.. خرج محمدﷺ ليعلن أن هذا القضاء الغاشم الذى فرضته الآلهة، والكهنة، والأصنام فى أقطار الأرض، إنما هو أكذوبة.

نعم أكذوبة.. ومصيدة للضعفاء والفقراء والذين لا يملكون من الأمر شيئا.. فكل نفس بما كسبت رهينة..

وهكذا انطلق، وقد أدرك دوره حقا لأول مرة.. منذ تلك الليلة فى رمضان.


محمد رسول الله
ناصر الدين دينيه

●●● يا حبيببى يا رسول الله.. يا خير الأنام.. وخاتم الأنبياء والمرسلين.. محمد عليه أفضل الصلوات وعليه أزكى السلام.. يامن بعثت لتكون نبعا للحب يغترف منه البشر أصفى وأنقى ما فى الوجود.. الحب.. فى قمة صورته.

يا من اختارك الله سبحانه وتعالى من جوف الصحراء لحكمة بالغة واصطفاك من بيئة الأصنام لتكون هاديا للبشرية جمعاء..

ألمح الآن شعاعا ورديا يتدفق فى الأفق والنجوم تبهت لونها ويطرق مسمعى لحن موسقى، يتردد صداه فى هدأة الفجر. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. (حى على الصلاة حى على الفلاح..) الألحان الأخيرة من هذا النداء الذى يردده المؤذن تنتشر من المنارات السامقة فوق أعالى البيوت، وذوائب نخيل الواحة، ذاهبة إلى حيث تذوب، فى جنبات الصحراء اللانهائيه.. وعندئذ يهب المسلمون من أعقاب نومهم، مزيلين فى أرديتهم البيضاء (الشبيهه بأكفان الموتى) .. وقد عرتهم رجفه هذا النداء، فكأنما يهبون من رجفه يوم النشور. وهناك يتقاطرون نحو العيون، فيتطهرون أتم طهاره، ثم ينتظمون صفوفا طويلة، متحاذين بمرافقهم، متجهين وجهة واحدة نحو كعبة مكة المقدسة.

تلك الكلمات كانت مقدمة كتاب محمد ﷺ «للمفكر الفرنسى» «اتيبه دينيه» الذى أعلن اسلامة عن إيمان واقتناع وأصبح اسمه «ناصر الدين دينيه». ويعتبر من أكبر.. المدافعين عن رسالة الإسلام، والرسول الكريم. وقد اشترك فى هذا الكتاب سليمان بن إبراهيم. وترجمه إلى اللغة العربية دكتور عبد الحليم محمود. ونجله د. محمد عبد الحليم محمود.

● لقد ولد ناصر الدين دينيه «الفونس اتيين» فى باريس ١٨٦١ وتوفى عام ١٩٢٩, واحتشد لتوديعه عدد كبير من رجال الفكر الفرنسيين والرسميين أيضا. ودفن فى مقبرة أعدها لنفسه فى الجزائر فى واحة «بوسعادة» مات مسلما على مذهب أبى حنيفة.

● ناصر الدين دينيه.. كان من كبار أهل الفن ورجال التصوير.. وكان صاحب طبيعة.. متدينه أيضا، كثير التفكير.. وعندما هداه الله إلى دين الإسلام بعد تفكير، وجدل عقلى مع نفسه.. أصدر مجموعة كتب منها «أشعة خاصة بنور الإسلام» «حياة العرب وحياة الصحراء». و «ربيع القلوب» «الشرق كما يراه الغرب» ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمدﷺ وهو السيرة النبوية فى مجلد كبير جليل، وضعه باللغة الفرنسية مزينة بالصور الملونة البديعة من ريشته الخاصة، يمثل فيها المناظر الإسلامية، ومشاهد الدين ومعالمه. وطبعه غاية فى الاتقان والعناية، حتى إنه ليعد تحفة من تحف الطباعة.

وكان ناصر الدين دينيه يرى أن عنصرين من عناصر الشر يتألبان على الإسلام ويهاجمانه وهما رجال السياسة الاستعماريون، ورجال الدين المتعصبون.

ولذلك اتجه إلى الدفاع نحو الهدفين. وأصبح ناصر الإسلام مدافعا عنيدا بالفكر والمنطق، والعلم عن الإسلام ورسوله الكريم.. وكان كتاب.. «محمد» رسول الله من الكتب العظيمة التى صور فيها الرسول الكريم، وتاريخ الإسلام.. ونعيش معا هذه الصور من حياة الرسول الكريم محمد عيله افضل الصلاة وأزكى السلام.

وفى أحد مشاهد السيرة النبوية، نرى بعض رجال من أشراف قريش وقد اجتمعوا فى الكعبة، ويدور حوار بين «أبو سهيل» و «أبو سفيان» وأمية بن خلف وغيرهم..

●●

أبو جهل: أسمعتم بخبر هذا الدين الذى جاء به هذا الرجل؟

أحدهم: تقصد محمدا يا أبا سفيان؟... إنه يبغض آلهتنا.

أبو سفيان: لقد اتبعه بعض القوم وانهم ليستخفون بصلاتهم فى شعاب مكة.

أبو جهل: لقد علمت أن محمداً قد اتبعه أبو بكر، وعثمان ابن عفان، وسعد بن أبى وقاص وآخرون. وأن سعدا استخفى البارحة فى نفر من أصحاب محمد فى شعب من شعاب مكة فظهر عليهم نفر من قومنا وهم يصلون. فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصفون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلا من قومنا فشج رأسه.

أبو سفيان: انها لفتنة يحدثها محمد.

أمية: بل هى بدعة وحدثا فى العرب استحدثها بنو عبد مناف.

أبو سفيان؛: لعلهم يريدون أن يظهروا، ويذهبوا بها فضلا على العرب كافة.

أبو جهل: (صائحا) هذا لن يكون.

أبو سفيان: لماذا يا أبا جهل.

أبو جهل: لقد تنازعنا نحن وبنو عبد مناف على الشرف أطعموا

فأطعمنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرس رهان، قالوا.. منا نبى يأتيه الوحى من السماء.. فمتى ندرك مثل هذه؟ .. كلا.. واللات لا نؤمن به أبدا.. ولا نصدقه..

وقد أثارت دعوة سيدنا محمدﷺ إلى عبادة الواحد الأحد.. ضغائن قريش واستعدوا لمحاربته. وقد جلس نفر من قريش فى حى من أحياء مكة يتحاورون كيف يحاربونه.. ودار حوار بين الوليد بن المغيره وأبى لهب.

الوليد: يا معشر قريش. إن موسم الحج قد حان، وأن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيا واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا..

أبو لهب: فأنت الوليد بن المغيره.. قل.. واقم لنا رأيا نقل به.

الوليد: بل أنتم.

أبو لهب: نقول لكاهن.

الوليد: لا واللات ما هو بكاهن.. لقد رأينا الكهّان، فما هو منهم.

أبو لهب: نقول مجنون.

الوليد: لا ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه..

أبو لهب: نقول شاعر.

الوليد: ما هو بشاعر.. لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بشاعر.

أبو لهب نقول ساحر.

الوليد: ما هو بساحر ولقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو منهم.

مجموعة أصوات: (صائحين) إذن فماذا نقول أيها الوليد بن المغيرة؟

الوليد: واللات إن لقوله لحلاوة.. وماأنتم بقائلين فى هذا شيئا إلا عرف أنه باطل..

أبو لهب: لقد حيرتنا.

الوليد: إن اقرب القول فيه أن نقول هو ساحر، جاء بقول سحر يفرق بين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه وبين المرء وعشيرته.

خسئت أقوالهم..

ويقول ناصر الدين دينيه فى كتابه «محمد رسول الله» إن معجزات الأنبياء الذين سبقوا محمدا كانت فى الواقع معجزات وقتيه، وبالتالى معرضة للنسيان السريع، بينما نستطيع أن نسمى معجزه الآيات القرآنية المعجزة الخالدة.

ذلك أن تأثيرها دائم، ومفعولها مستمر ومن اليسير على المؤمن فى كل زمان وفى كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة كتاب الله. وفى هذه المعجزة نجد التعليل الشافى للانتشار الهائل الذى أحرزه الإسلام. ذلك الإنتشار الذى لا يدرك سببه الأوروبيون لأنهم يجهلون القرآن.

أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة، فضلا على أنها غير دقيقة.

ويستشهد ناصر الدين دينيه فى كتابه «محمد رسول الله» بقول «ستانلى لين بول»: إن أسلوب القرآن فى كل سورة من سوره لأسلوب

يفيض عاطفة وحيوية وحياة. إن ألفاظ القرآن.. ألفاظ قُدَّتْ من قلب إنسان يستحيل أن يكون منافقا. وهذا القلب هو قلب رجل كان له أخطر الشأن فى تاريخ الإنسانية.

ويقول ناصر الدين دينيه عن تأثير القرآن الكريم فى النفوس البشرية «إن عرب الحجاز الذين يدركون معانى اللغة القرآنية التى هى لغتهم الخاصة، كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم إنفعالات هائلة. فيظلون مكانهم وكأنهم قد سمّروا فيه.

أهذه الآيات الخارقة تأتى من محمدﷺ، ذاك الأمى الذى لم ينل حظا من المعرفة، اللهم إلا ما حبته به الطبيعة، وما امتاز به من رقة فى الشعور؟

كلا. إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وإنه لامناص من الإعتراف بأن الله العلى القدير هو الذى أملى تلك الآيات البينات. إن الرسول لم يكن مخادعا حين قال: إن الله هو الذى أنزل القرآن.

﴿وانك لعلى خلق﴾

صدق الله العظيم

ومن خلال عشرة فصول.. استطاع ناصر الدين دينيه فى كتابه «محمد رسول الله» أن يفنّد الأكاذيب التى حاول أعداء الإسلام والرسول أن ينشرها.. وأن يلقى الأضواء على الإسلام.. والعصر الحديث.. وكيف تتطلع أوروبا إلى الروحانية وأن مستقبل الإنسانية فى هذا العصر.. فى هذا الإسلام الحنيف، ودعوة محمدﷺ. وإنك لعلى خلق عظيم. يا حبيب الرحمن وشفيعنا يوم القيامة والفرقان.



المحمديات

محمد.. محمد.. محمد

يا للكلمة الطيبة المباركة..

ويالروعة جرسها.. وصفاء لحنها..

من جوهرها الكريم ينصاع الكلم الطيب

فمحمد.. النبى الأمى.. مبعوث السماء بالهدى ودين الحق..

ومحمد.. كلمة.. هى سيدة الكلام..

ومحمد.. انسان.. هو سيد الأنام..

ويلتقى العظيمان..

الذات والكلمة..

المسمى.. والأسم..

فيشهد التاريخ معجزة الحياة.. المعجزة الخالدة.. التى تخلّقت من كلام..

وجرت على كل لسان..

أما «محمد» الذات.. ذلك اليتيم الفقير الذى عرفته «مكة» وليدا، وعرفته البادية رضيعا، ثم أستقبلته مكة غلاما، وشهدته نبيا مرسلا، يحمل فى فمه دعوة الحق.

أما «محمد» هذا الانسان الذى عرفته الحياة، وعرفه الناس.. هذا الانسان الذى شاءت إرادة الخالق أن يكون مبعوثه إلى الناس كافة.. هدى ورحمة للعالمين يا رسول الله.

يا نبى الرحمة..

لامدح ولاثناء.. فإنك فوق المدح، وفوق الثناء..

لكن.. صلوات.. وتسليمات.. ورحمات، وبركات..

ونلتقى فى هذه الرحلة مع رؤية جديدة للسيرة العطرة، والرحيق المختوم، خاتم الأنبياء والمرسلين.. سيدنا محمدﷺ.

مع عبد الكريم الخطيب فى كتابه «النبى محمد.. انسان الانسانية.. ونبى الأنبياء» ونرحل مع كاتبنا فى أغوار السيرة العطرة، باحثين عن إجابات لأسئلة حيْرى.. هل النبوة ضرورة إنسانية؟ وما هى عظمة الإنسان وعظمة النبى.. أنبى.. أم عظيم؟

تنازع كثير من الناس.. قديما وحديثا.. فى أمر النبوة.. وهل هناك ضرورة إنسانية تدعو إلى أن يقوم فى الناس أنبياد ورسل، حاملين إليهمْ وصايا السماء وشرائعها؟ والناس فى هذا مذاهب وشيع.. وقد كشف القرآن الكريم عن ذلك اللون من التفكير الانسانى فى مواجهة دعوى الرسل فيقول سبحانه وتعالى فى قوم صالح:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم...

فقالوا أبشر منا واحدا نتبعه؟ إنّا إذن لفيِ ضلال وسعر، أأُلْقِيَ الذِّكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشِرْ﴾ (سورة القمر ٢٤، ٢٥)

صدق الله العظيم

وإذا كان الرسول بشرا فما ظنك أن يكون فى الناس؟

أتراه واحدا من آحاد الناس لا أمتياز له فى عقل أو خلق؟ أم تراه إنسانا جبارا فاتكا، ملأ قلوب الناس فزعا ورعبا؟

كلا.. إن الرسول ليس إلى هؤلاء.. ولا أولئك إنّ رسل الله فى أقوامهم.. هم صفوة الناس، مشهود لهم برجاحة العقل، وكمال المروءة.. والعفة، والصدق. والنبى هو الرجل الأول فى الكمال الإنسانى بين قومه..

جلس أشراف قريش عند الكعبة، وبينهم أبو سفيان، وأبو جهل، وعقبة بن أبى معيط وقد جاء اليهم الرسول الكريم يدعوهم إلى دين الله. ومعه أبو بكر رضى الله عنه.

أبو سفيان: أو ينزل الوحى على هذا الرجل، وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو سيد ثقيف؟

إبو جهل: أو تصدق أنه ينزل عليه وحى يا أبا سفيان؟ إنه الساحر.. فرّق جماعتنا وسبّ آلهتنا..

أبو سفيان: ماذا نفعل ياأبا جهل.. لو أن عمه أبا طالب أسْلمه إلينا.. لكن لا يريد أن يُسْلمه لشيء أبدا..

عقبة بن أبى معيط: إن ذكره قد بلغ المدينة..

أبو جهل: وغدا يبلغ ذكره بلاد العرب كلها.. يا عقبة بن أبى مُعَيْط.

عقبة: أعلمتم أنه يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى دينه؟

أبو جهل: هذا ما أخشاه ياعقبة..

عقبة: وإنه ليزعم لهم أن بعد الموت بعثاً وجنة يدخلها من تابعه، ونارا يصلى فيها من خالفه..

أبو جهل: إنك جالسته وسمعت منه، لقد بلغنى ذلك يا عقبة.. وإن وجهى من وجهك حرام إن أنت جالست إليه.

إبو سفيان: هو مقبل.

إبو جهل: نعم.. وخلفه صاحبه أبو بكر..

عقبة: أنتظروا حتى أغمزه ببعض القول.

أبو جهل: إفعل..

عقبة: يا محمد.. أنت تزعم أن الله يبعث العظام بعد أن تكون رميما؟

ويقول محمد ،نعم.. أنا أقول ذلك.. يبعثه الله وأياك بعدما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار..

عقبة: أتقول يبعثنى الله ربك بعدما أكون هكذا؟

ويقول محمد.. نعم..

عقبة: (يضحك) يبعثنى بعدما أكون مثل هذه العظام التى أصبحت رميما؟

ويتلو محمدﷺ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم... وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام، وهى رميم.. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقوون، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى، وهو الخلاق العظيم﴾

صدق الله العظيم

عقبة: يا محمد.. هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت فى الأمر فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه؟

ويتلو محمدﷺ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم... قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولى دين﴾

صدق الله العظيم

عقبة: نعم.. لنا ديننا وهو خير من دينك هذا..

ويتلو محمد ﷺ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم... ويوم يعض الظالم على يديه، يقول يا ليتنى أتخذت مع الرسول سبيلا﴾

صدق الله العظيم

أبو جهل: (صائحا) أتتركه يا عقبة ينصرف.. بعد أن عاب آلهتنا..

عقبة: يامحمد.. أنت الذى تقول إن الهك خير من آلهتنا.

ويقول محمدﷺ: نعم أنا الذى أقول ذلك.

عقبة: لا تدعوه.

ويقول أبو بكر رضى الله عنه (مرتاعا) ماذا تفعلون.

ماذا تريدون به؟ ماذا تريدون به؟..

عقبة: اقتلوا محمدا.

ويدافع أبو بكر عن النبى.. ويقول متأثرا.. أتقتلون رجلا يقول ربى الله؟

أصوات: هيا نقتله.. هيا.

أبو سفيان: (صائحا) دعوا محمدا.. دعوا محمدا.. هذا عمه حمزة متوشحا قوسه وسلاحه قادم إلينا..

وقد تساءل البعض.. أمحمد نبى أم عظيم؟ أى أكانت دعوته صادرة عنه، كما تصدر الدعوات من المصلحين والعظماء، أم كانت دعوته تلك التى قام بها من نوع آخر غير تلك الدعوات التى تعتمد على الجهد البشرى وحده ؟

إن دعوة «محمدﷺ» كانت شيئا آخر غير دعوات المصلحين من القادة والزعماء، وأرباب الإصلاح من غير رسل الله وأنبيائه.

فقد اتسمت دعوة محمدﷺ بسمتين خلت منهما أية دعوة من دعوات الإصلاح البشرى.

● كيف؟

■ لأنها أمتدت فى الزمان والمكان إلى أبعد حد فيها ولاتزال الأيام بعد مضى خمسة عشر قرنا.. تزيد فى امتدادها.

● والسمة الأخرى؟

■ فهى أن دعوة محمدﷺ قد خلت من الدوافع الذاتية والأهواء الشخصية.. وأن رسالة محمدﷺ رسالة عقلية.. تعتمد على الحجة الواضحة.. والمنطق القويم..

● لهذا رشحته السماء لأعظم رسالة حملها نبى؟

نعم.. إنه يحمل آخر كلمة من الله إلى الناس.. هى الكلمة الأخيرة. الكلمة الحاسمة فيما بين السماء والأرض فليس بعدها كلام.. إنها الخاتمة.. وهو خاتم النبين.. ليس بعده نبى وليس وراءه بشير ولا نذير.


محمد .. القدوة العظمى
د. عبد الحليم حفنى

محمد.. محمد.. محمد

لأول مرّة فى حياة البشر تكون الكلمة آية، وتصبح الآية معجزة خالدة تتحدى الناس على مدى الأجيال وتطاول الأزمان..

ولأول مرّة فى حياة الرسل تكون معجزة الرسول فى فمه وكلمات تجرى على لسانه لها الوجوه وتخرس لها الالسنة.

فالصلاة على محمد فى شريعة الإسلام، مرضاة للرب، ومغفرة للذنب. والشهادة برسالة محمدﷺ ركن من أركان الإسلام لايكمل إلا بها، ولا يقبل إلا معها. فى كل آذان تتردد كلمة محمد وفى مفتتح كل صلاة تُذْكر كلمةَ محمد وفى التشهد من كل صلاة وفى مختتم كل صلاة تذكر كلمة محمد.

●●● ونلتقى فى هذه الرحلة مع رؤية جديدة للسيره العطرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدﷺ مع الدكتور عبد الحليم حفنى والقدوة العظمى محمدﷺ. ونرحل مع كاتبنا فى هذه الرحلة التى يقول فى مقدمتها «لقد شبعت الأمة العربية من الغفله، ومن اللهو، وآن لها ليس أن تفيق فحسب وإنما تسابق وأن تصارع قبل فوات الأوان.

إننا حين نبنى لا نجد بين أيدينا إلا تصميما واحدا يجب أن نلتزمه هو التصميم الإسلامى، قبل أن تفسده الأهواء والشهوات. والمسلمون والعرب منهم خاصة يجتازون اليوم مرحله هى غاية فى الدقة والحرج والخطورة ولعل التأسى بالرسول ﷺ كقدوه عظمى ومثلا أعلى، وخلاصة نيره لامتزاج البشرية بالنبوة يكون وسيلة للخروج من حصار الخطورة، إلى دائرة الأمان. ولكم فى رسول الله أسْوة حسنة. وهذه هى الزاوية الخاصة التى اهتم بها كاتبنا.. فالرسول الكريمﷺ لم يرسله الله ليكون مجرد اسطوره تتناقل عظمتها الأجيال..

وإنما أرسله الله محددا فى القرآن الكريم رسالته، وهى إنه أسوة وقدوة كما يقول سبحانه وتعالى {لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}.

●● عند جبل أُحد وقف الرسول الكريمﷺ يتفقد جيشه قبل نشوب المعركة مع الكفار، وألقى بتعليماته الأخيرة لجنوده وقادة الجيش بعد أن نصره الله فى بدر وهم قلّة. وكانت نصيحة الرسول الكريمﷺ للرماة الذين وضعهم فوقّ جبل أُحد تتلخص فى تلك الكلمات. «قوموا على مصافكم هذه إنضحوا الخيل هنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا فان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم وظهرنا عليهم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرْسل إليكم».

●● وخالف الرماة الذين كانوا يقفون فوق جبل أحد أوامر الرسول الكريمﷺ، عندما رأوا المسلمين وهم ينتصرون فى أول جولة. وحاقت الدوائر بالمسلمين والتف الكفار حول الرسول الكريم وحوله عشرة من الصحاب يريدون قتله وصاح ابن قميئه.

أيها الناس أيها الناس إن محمدا قد قتل

أصوات المسلمين: قتل رسول الله..

كعب بن مالك: (يصيح فرحا) رسول الله لقد عرفت عينيك الشريفتين... رسول الله لم يمت يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله.

ويقول الرسول الكريم لكعب بن مالك اسكت يا كعب.

أصوات المسلمين: أين.. أين؟

كعب: هنا فى هذه الحفرة هلموا إلى.

أبو بكر: (فرحا) رسول الله بخير.

عمر: حمدا لك اللهم..

على: هو اللعين ابن قميئة الذى زج بالرسول إلى الحفرة وهو الذى فعل هذا.

أبو سفيان: (يصيح) أيها الناس أفى القتلى محمد... أفى القتلى محمد... أفى القتلى محمد...

ويقول الرسول الكريم لصحبه.. لاتجيبوه

أبو سفيان: أفى القتلى ابن ابى قحافه..

ويقول الرسول الكريم لصحبه لا تجيبوه.

أبو سفيان: (صائح لقومه) هؤلاء قد قتلوا وقد كفيتموهم.

عمر: بماذا نجيبه يا رسول الله.

ويقول الرسول الكريم.. قولوا الله أعلى وأجل قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار.

أبو سفيان: يا أصحاب محمد إنه قد كان فى قتلاكم مَثّل والله ما رضيت وما سخطت وما نهيْت وما أمرت إن موعدكم بدر للعام القابل.

ويقول الرسول الكريم لعمر نعم هو بيننا وبينك موعدا.

أبو بكر: أين ذهب الناس.

كعب: قومنا فى كل واد.. لقد ولىّ الناس عن رسول الله إذ سمعوا من صاح فيهم محمد قد قتل.

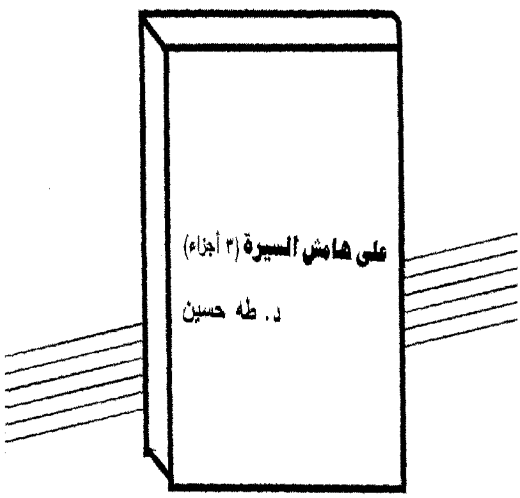
أبو بكر: لقد فُتّ فى عضد المسلمين.

ويتلو الرسول الكريم ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم﴾...

وقد لحقت الهزيمة بالمسلمين لأنهم لم ينفذوا أوامر قائدهم الرسول الكريم لهم، فقد كونوا من أجسادهم درعا حوله مستهدفين للموت فداء لشخصه العظيم. وظلوا يناضلون فى هذا الفداء الأسطورى حتى أتت إليهم جموع المسلمين..

ولكنا نتساءل ما الذى جعل الرسول الكريم يمتاز عن سائر الأنبياء فى سرعة استجابة الناس وحبهم غير المألوف له..؟

انها بعد القرآن الكريم شخصية الرسول الكريم.. عليه السلام بما تحمل من مقومات القدوة والزعامة والرئاسة فهو صاحب الشورى الرؤوف الرحيم.


على هامش السيرة (٣ أجزاء)
د. طه حسين

ونستكمل معا رحلتنا مع طه حسين وكتابه «على هامش السيرة» وهذا الكتاب مجموعة من القصص أخذت مادتها من السيرة. وقدمت للسيرة هذه الذخيرة الحية الجديدة التى يدخلها الشكل الفنى الجديد إلى ما حمله لنا التراث ليعيده إلى البشرية زادا فيه خير مافى القديم من مادة وخير مافى الجديد من علاج فنى مستحدث.

وإننا نحس ان الكاتب قد راح يبحث فى كتب السيرة بروح الفنان. يقف عند الأحداث التى تهتز من الفنان مشاعره، ويختار من الشخصيات ما يلذ الفنان أن يصور انتقالاتها وعواطفها..

وهو يؤمن بما يقرأ إيمان الفنان، ويصدق ما ترويه كتب السيرة تصديق الفنان الذى يخرج من الحدث المعجزة بأدق ما فيه من معانى الإنسانية وبأجمل ما يصوره.. من تشوق الإنسان وتطلعه، ومن عجز الإنسان وتصوره. وهو آخر الأمر يلمس بريشته أدق مافى نفس الناس من نوازع تبدو مهما طال الزمن، وكأنها بنت اليوم ووليدة الحاضر. ونرحل مع طه حسين فى هذه الصور التى اختارها ففى سوق عكاظ كانت حليمة مرضع محمدﷺ جالسة بين بعض النسوة وهى تحمله على صدرها. وقالت لها أحدى النسوة..

المرأة: من هذا الصبى؟

حليمة: هو يتيم لا أب له ولامال.

المرأة: إنا لنرجو أن يكون مباركا.

حليمة: إنه كذلك ولقد رأينا بركته.

المرأة: كيف ذلك؟

حليمة: كنت لا أروى ابنى من لبنى والآن هو وإبنى يرويان، ولو كان معهما ثالث لروى ايضا. لقد أمرتنى أمه «آمنه بنت وهب» ان اسأل عنه عند العرافين.

المرأة: هلمى بنا إليه.. إنه جالس هناك فى مكانه.

حليمة: أيها العراف.. أنظر إلى هذا الصبى وأخبرنى عنه.

العراف: إبن من هذا؟

حليمة: هو يتيم لا أب له..

المرأة: لماذا تنظر إليه هكذا أيها العراف..

حليمة: ماذا أصابك أيها العراف.. وانت تنظر إلى الصبى.

العراف: «يصيح» يا معشر هذيل ـ يا معشر العرب..

أصوات: مالك؟ مالك أيها العراف..

العراف: اقتلوا هذا الصبى.

وتنسل حليمة بمحمد قائلة:

حليمة: وا ولداه.. ماذا حدث؟

ويقترب الناس من العراف ويلتفتون هنا وهناك.. ولايرون شيئا ويقولون..

الناس: أى صبى؟ أى صبى أيها العراف هل جننت؟..

العراف: هذا الصبى.. هذا الصبى .. اقتلوه.. اقتلوه.

ومضت حليمة بعيدا والناس لايرون شيئا.. ونرحل مع طه حسين

فى هذه الصور التى اختارها. وقد اختار شخصية عبد المطلب وحواره مع الملك أبرهه..

فعندما أقترب أبرهه من مكة ليهدم الكعبة، بعث رسولا إلى مكة وطلب منه أن يسأل عن سيد أهل البلد وشريفها ويبلغه هذه الرسالة.. وكان سيد القوم هو عبد المطلب. «ان الملك أبرهه يقول لك أنى لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب. فلا حاجة لى بدمائكم فإن لم ترد حرب فقد أمرنى الملك أن آتيه بك».

●● وكان عبد المطلب جد الرسول الكريم بعد ذلك، أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهه أجلَّه وأعْظمه. فنزل أبرهه عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال:

أبرهه: ما حاجتك؟؟

عبد المطلب: حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير استوليت عليها.

أبرهه: لقد أعجبتنى حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتنى. إنك تكلمنى فى ماشية وبعير أصبتها لك وتركت بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه..

عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل.. وأنَّ للبيت ربا سيمنعه..

أبرهه: لن يمنعه منى..

عبد المطلب: أنت وذاك.

●●● فرد أبرهه على عبد المطلب الإبل التى أصابها له.. ولكن

عبد المطلب لم يأخذ ابله ولكنه أرسلها هدايا إلى هذا البيت لتذبح فداء للبيت. ومضى عبد المطلب إلى قومه من قريش فيأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب وعلى رؤس الجبال هربا من الملك ينتظرون ما أبرهه فاعل بمكة إذا دخلها..

●● ويصور طه حسين فى كتابه «على هامش السيرة» ما حدث عندما اقترب أبرهه وجيشه من البيت ليهدمه فكانت صوره قصصيه رائعة فيقول:

وهمّ جيش أبرهه أن يتحرك وفى مقدمته فيل عظيم، ولكنه برك حتى إذا دنا منه ساسته لينهضوه نهض معهم حتى إذا وجّهوه إلى مكة برك من جديد. حتى إذا أداروا رأسه نحو الشام أو نحو اليمن أو نحو الشرق نهض ومضى مهرولا، فإذا أداروا رأسه نحو مكة برك ولم يتقدم أمامه إصبعا. وحاول ساسته أن يحثونه ويؤذونه ويضربونه ولكنه لم يتحرك. وإذا الجو يظلم شيئا فشيئا وإذا سحاب كثيف يبدو من بعيد. ونظر القوم ليروا ما حدث. وما هول ما تبينوا. لم يروا سحابا كالسحاب ولا غماما كالغمام وإنما رأوا سحابا حيا يخفق بأجنحته خفقا ويبعث فى نفوسهم روعا.. وكان يقبل عليهم أسرابا من طير صغار لها مناقير الطير. وأكف الكلاب حتى إذا دنت منهم أخذت تحصب الجيش بحجارة دقاق كانت تحملها فى مناقيرها وأرجلها، ولم تكن هذه الحجارة تبلغ دقة العدسة ولا عظم الحمصه، وإنما كانت شيئا بين بين وكانت على دقتها لا تمس شيئا إلا هشمته تهشيما ولا تمس رجلا إلا ألقته صريعا. وتحول الجيش عن مكة إلى غيرها فى الوجوه جادا فى الهرب. وهذه الأسراب من الطير تتبعه تحصبه بهذه الحجارة وتملأ الجو من بصياح مخيف.

وقد مس حجر من تلك الحجارة أبرهه فظهر على جسمه بلاء عظيم. وأخذت أجزاء جسمه تتساقط قليلا قليلا. وكم ذاق من مرارة الندم ولذع الحسرة واللوعة، حين بلغ صنعاء وأدخل إلى قصره ليمرض فيه وأصبح كالفرخ من فراخ الطير حتى انفجر صدره عن قلبه انفجارا... ومات..

فلما بعث الله سبحانه وتعالى محمدا قال الله فى قرآنه الكريم:

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾

صدق الله العظيم


على هامش السيرة
د. طه حسين

يا رسول الله

يا نبى الرحمة

ماذا يقال فيك فى مقام المدح والثناء.. وكل مقاماتك مدح وثناء.. بعد أن زكّتك السماء، وقال فيك رب العالمين:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

وأى كلام يبلغ صفتك، ويجلّى حقيقتك، وقد منحك الرحمن صفتين من صفاته: الرأفة والرحمة، فقال فيك جل شأنه:

﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾

●●● ونستكمل معا رحلتنا مع طه حسين وكتابه «على هامش السيرة». وفى هذا الكتاب قصص استكملت شروطها الفنية وتنوعت بين القِصة القصيرة، والرواية الطويلة. وبين رسم الشخصيات ورسم الأحداث، وحوت أعمالا فنية تسمى حينا بالقِصص الذهنى، وحينا آخر بالقصص الإنفعالى.

وهناك أعمال استوفت شروطها كاملة، استعانت بكل هذه الألوان الفنية لتعبر عن انفعال الكاتب بأحداث السيرة المحمدية انفعالا صادقا.

وقد نجح فى أن يصور لنا عصرا فذا فى تاريخ البشرية، عصر الرسالة المحمدية بما سبقها من إرهاصات، وما تبعها من تغيير شمل الحياة كلها. صور لنا حياة العرب قبل البعثة، يعيشون كلهم حول بيت فى مكة، تحفظه قريش وتخدمه. وينفرد من قريش بها بيت عبد المطلب، هذا البيت الذى خرج منه محمدﷺ.

ولا ينسى الدكتور طه حسين أن يلتفت إلى مصر فى كتابه. فأهلها قد أسهوا فى بناء الكعبة يوم هدمتها قريش لإعادة بنائها.

فقد بناها «باخوم المصرى». وعاد إلى أهله فى مصر ينتظر معهم النور الجديد، ونور الرحمة يتبعهم بعد الرسالة فيهدى قلوبهم إلى

الإسلام. أما محمدﷺ فهو الذى أقبلت البشارات به، تدل الناس على نوره.

وهو الذى جرت الأحداث قبل مولده بقرون تمهد لهذا الميلاد وتعد له. ثم هو النبى المؤمن بدعوته المكافح عنها. ثم هو الابن الرحيم، والأب الرحيم، والصديق الوفى، والرءوف الرحيم

●● بعد أن هُزم المسلمون فى (أُحد). وقف الرسول الكريم حزينا، وبجواره على بن أبى طالب، وبعض الصحابة.. وقال لهم «هلمّ بنا إلى بطن الوادي.. نر قتلانا». وعثر على كرم الله وجهه على جثة حمزة، وقد مثّل بها، وكانت جثته مبقورة، بعد أن أكلت هند كبد حمزة. وقف على وقال: هاهوا ذا.. يا رسول الله.. اللهم غفرانك.. بئس ما صنعوا به!.. بئس ما صنعوا به!..

ووقف الرسول أمام الجثة متأثرا حزينا وقال: عمّاه..!!

كعب: يا رسول الله!.. إن صفية أخت حمزة قد أقبلت لتنظر إليه.

وقال الرسول الكريم.. يا كعب.. لا تجعلها ترى ما حدث بأخيها.. ارجعها

كعب: إلى أين أنت ذاهبة يا صفية.. إن رسول الله يأمرك أن ترجعى.

صفية: ولم.. يا كعب؟ وقد بلغنى أنه قد مُثّل بأخى.. وذلك فى الله.. فما أرضانا بما كان من ذلك. لأحتسبنّ ولا صبرن إن شاء الله.

كعب: يا رسول الله، لقد بلغها أن قد مُثّل بحمزة، وتقول إن ذلك فى الله، وهى راضية صابرة.

ويقول محمد: خل سبيلها!.

كعب: يا صفية.. لقد وافق رسول الله على رؤيتك لجثة حمزة..

صفية: (باكية) إنا لله وإنا إليه راجعون.. اللهم أغفر له!..

ويقول محمدﷺ: والله لولا أن تحزن صفية وتكون سنّة من بعدى لتركتة حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير. ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلا منهم!.

والله: لئن أظهرنا الله بهم يوما من الدهر.. لنمثّلنّ بهم مثْلَةً لم يمثلها أحد من العرب!

ويقول النبى محمدﷺ مخاطبا جثة حمزة: لن أُصاب بمثلك أبدا، ما وقفت موقفا قطْ أغيْظَ إلى من هذا!

ويهبط جبريل على محمدﷺ قائلا:

«وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله، ولاتحزن عليهم، ولا تك فى ضيق فيما يمكرون».

صدق الله العظيم

وقال النبى محمدﷺ لأصحابة: الصبر خير لنا!.. اصبروا، ولا تمثلوا بأحد!!

●● كانت المدينة تبكى على قتلاها. وجلس الرسول الكريم فى المسجد، وحوله الصحابة أبو بكر، وعمر، وسعد بن معاذ وآخرون.. وبنبرة كلها ألم وحزن قال عمر: الناس تبكى على قتلاها.

ويزرف الرسول الكريمﷺ دمعة وقال: لكن حمزة لا بواكى له!

عمر: من هذه المرأة يا أبا بكر؟

أبو بكر: تلك حمنة زوجة مصعب بن عمير تسأل فيما أرى عن ذويها.. أنع إليها أهلها يا سعد بن معاذ.

سعد: يا حمنة!.. استرجعى.. واستغفرى لأخيك!

حمنة: (فى صبر) إنا لله وإنّا إليه راجعون. اللهم اغفر له!

سعد: واستغفرى لخالك!

حمنة: إنّا لله وإنّا إلية راجعون. اللهم اغفر له!

سعد: واسترجعى.. واستغفرى لزوجك!

حمنة: (تصرخ) مصعب!.. قُتل!.. قُتل مصعب زوجى؟!!.. ويلاه!.. ويلاه!.. إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم اغفر له.

ويقول النبى محمدﷺ كالمخاطب نفسه: إن زوج المرأة منها لبمكان!!.

أبن أُبى: أيها الناس!.. هذا رسولِ الله بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به فأنصروه..

أصوات: اجلس يا عدو الله!.. لست لذلك بأهل.. وقد صنعت ماصنعت.

إبن أُبى: ألا تستمعون إلىّ إذ أقول لكم انصروا رسول الله؟

أصوات: أيها المنافق.. وهل نصرته أنت يوم انخذلت عنه بثلث الجيش؟!.. وتركت موقعك فى أحد..

اخرج من المسجد.. لقد حق عليك القتل.

اخرج من المسجد..

ويقول النبى محمدﷺ لسعد بن معاذ أليس هذا عبد الله بن أُبى.

سعد: نعم يا رسول الله.

ويقول النبى محمدﷺ.. ماله؟

سعد: إن زيد بن أرقم يقول لك يا رسول الله

زيد: إنه منافق.. يا رسول الله.. لقد سمعت منه قولا خطيرا.. فلقد ازدحم أحد الانصار وأحد المهاجرين على الماء فاقتتلا، فصرخ الأنصارى.. يا معشر الأنصار.. وصرخ المهاجر.. يا معشر المهاجرين. فغضب (ابن أُبى) للأنصارى وقال فى رهط مِن قومه:أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، وكما قالوا سمِّن كلبك يأكلك.. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليَخرجنّ الأعزّ منها الأذل..

عمر: أو هكذا قال؟

زيد: نعم ياعمر..

عمر: يا رسول الله!.. مُرْ به بلالا.. فليقتله

وقال النبى محمدﷺ : أَأَقْتُلْه؟!!

عمر: نعم يا رسول الله

وقال النبى محمد: كلا يا عمر.

عمر: لماذا يا رسول الله؟

وقال النبى محمد.. كيف يا عمر.. إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟.. لا..

سعد: هذا ابن عبد الله بن أُبى.. قادما

ابن أبن أُبى: يا رسول الله!.. إن أبى قد نافق فيما أسمع. وقد بلغنى أنك تريد قتله، فإن كنت لابد فاعلا، فمُرْنى به.. فأنا أحمل إليك رأسه.

وقال النبى محمدﷺ.. أنت؟!

ابن ابن أُبى: نعم يا رسول الله، والله لقد علمتْ الناس ما كان من رجل أبر بوالده منى، لكننى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس، فأقتله.. فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار.

وقال النبى محمد فى رفق وابتسام.. كلا.. لن نقتله

ابن ابن أُبى: لن تقتله؟!

وقال النبى محمدﷺ.. بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقى معنا!!

حقا يا رسول الله.. أنك لعلى خلق عظيم.. بالمؤمنين رؤف رحيم

جَلّ من سواه نورا هاديا للبشرية

ذكره فوق جبين الدهر هاله..


على هامش السيرة
د . طه حسين

●● يا رسول الله!

يا نبيّ الرحمة

ماذا يقال فيك فى مقام المدح والثناء ـ وكل مقاماتك مدح وثناء ـ بعد أن زكّتك السماء، وقال فيك رب العالمين .. وإنك لعلى خلق عظيم؟

وأى كلام يبلغ صِفَتَك ويجلّى حقيقتك. وقد منحك الرحمن صفتين من صفاته! الرأفة والرحمة، فقال الرحمن جلّ شأنه «بالمؤمنين رءوف رحيم»!!

إن كل قول يقوله المادحون بعد هذا ليس وصفا لذاتك، ولا تشخيصا لصفاتك، وإنما هو تسبيح وتمجيد، وصلاة ودعاء!.. يجد فيه القائلون سعادة ورضى، ويقبسون منه نورا وهدى، ويستمدون منه مضاءً وعزما.

•• رحلتنا اليوم مع كاتب ومفكر كبير.. هو الدكتور طه حسين فى كتابه «على هامش السيرة» بأجزائه الثلاثة، وإذا كان الدكتور طه حسين قد شاء أن يثبت أن تراثنا العربى القديم يحفل بالصفحات الموحية الملهمة، وإذا كان قد أراد أن يثبت أن أدب العرب خالد حى... فهذا الذى شاء، وهذا الذى أراد قد أثبتته هذه الفصول الرائعة التى ضمها كتابه «على هامش السيرة». فهذا الكتاب ليس عملا علميا تناقش فيه القضايا وتبحث فيه المشكلات، إنما هو عمل فنى يتذوق العمل الفنى، ويتاح فيه ما يتاح للعمل الفنى من تجوّز فى التاريخ.

ويقول طه حسين:

«وأحب أن يعلم الناس أيضا، أنَّى قد وسَّعتُ على نفسى فى القصص، ومنحتها الحرية فى رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به باسا إلا حين تصل الأحاديث والأخبار بشخص النبيّ، أو بنحو من أنحاء الدين، فأنى لم أبح لنفسى فى ذلك حرية ولا سعة، وإنما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث. ورجال الرواية، وعلماء الدين».

فكتاب «على هامش السيرة» إذن عمل فنى، أخذ من فترة البعث والرسالة ميدانا لاختيار الشخصيات والأحداث، وحقلا لإبراز التجارب الإنسانية التي تبرز لنا حقيقة النفس البشرية الخالدة التي لا

تتعلق فى خلودها بعصر أو زمان... والدكتور طه حسين يؤمن إيمانا عميقا أن أحداث السيرة مثلها مثل تاريخنا الموروث كله مليئة بما يلهم الناس، ويوحى إليهم. وأن السيرة من الأدب الحى، الملئ بالنماذج البشرية الباقية، التى تملأ الأبصار، والبصائر على مر العصور والأزمان.

ونعيش معا بعض هذه الصور والمواقف، ومع بعض شخصيات السيرة.

●●

عندما إجتمع معشر قريش يسألون الرسول الكريم عن الروح، قال لهم (سأخبركم بما سألتم عنه غدا). ثم تركهم وسار فى سبيله مطرقا مفكرا. وفى غار حراء كان يسجد، ورآه راعيان ودار بينهم ذلك الحوار:

الراعى الأول: (همسا) إنه يأتى كل يوم فيسجد، ويرفع يديه إلى السماء، كأنما هو يستنجد، ويستعين.. أكبر ظنى أنه فى بلاء عظيم،

الراعى الثانى: أرى فى وجهه. حقا أنه محزون وأنه فى بلاء..

وينصرفان، ويقبل أبو بكر وخلفه بلال.

بلال: (همسا لمولاه أبى بكر): لقد أرجف أهل مكة، وقالوا وعدنا محمد غدا.. ليقول لنا.. ما الروح؟.. واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها ولا يخبرنا بشئ..

أبو بكر: قل لهم يا بلال أن أصبروا، إن محمدا لابد أن يوفى بوعده.

بلال: لقد سمعت بعض الناس يزعم أن الوحى انقطع عن النبى، وأن ربه قد نسيه.

أبو بكر: (فى حزن).. إن الله لا ينسى نبيه

بلال: اللهم رحمتك!!

أبو بكر: اللهم خفف عنه!.. إنه ليشق عليه ما يتكلم به أهل مكة.. هيا بنا يا بلال.. نترك الرسول يناجي ربه.

●●

ويناجى الرسول ربه قائلا: أي رب! إليك أشكو بلائى. أى رب، ابعث إليّ وحيك! إبعث إلي وحيك! لقد سألونى عن الروح ولا أعلم بم أجيب.. أى رب، أنسيتنى؟.. اللهم إنى لفى بلاء.. اللهم إنى لفى بلاء..!

ويسمع صوتا فيرفع رأسه، فيري جبريل. فيمتلئ قلبه فرحا ويصيح ويقول محمد،«جبريل .. جبريل لقد احتبست عنى يا جبريل، حتى سؤت ظناً.

وقال جبريل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، وما كان ربك نسيا.. ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا، إلا أن يشاء الله، وأذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا. ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾

●●

جلس أشراف قريش عند ظهر الكعبة، بعد غروب الشمس، يتناقشون فيما سمعوه من الرسول الكريم محمدﷺ عن الروح. ودار هذا الحوار بين أبو سفيان، وأبو جهل. وعتبة، وأمية بن خلف..

أبو سفيان: أسمعتم ما أجاب به محمد! «ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى».

أمـيـة: نعم يا أبا سـفـيـان.. وهو يزعـم أن ربه أنزل عليـه جـبـريل بهذا.

أبو جـهل: واللات هذا القول ما هو بالجـواب عـما سألناه. ألا ترون أنه قد عجز.

عتبة: يا أبا الحكم!.. أتسمع منى..؟

أبو جهل: قل يا أبا الوليد!

عـتبة: والله ما هو بعاجز، ومـا كـذبكم في هذا شيـئـا، إن الروح لا يمكن أن تكون أمـر بشـر، لقـد أصـدقكم، ومـا كـان عليـه لو أنـه نبى كـاذب.. أن يقـول لكم فى أمـرها قـولا أو يصـف لكم وصـفـا يسكتكم به..؟!

أبو جهل: قلت لك ياأبا الوليد إنه قد سحرك..!!

أبو سفيان: ياأبا الوليد!.. إن وجهى من وجهك حرام، إن أنت قلت أمامه الساعة.. مثل هذا الكلام.

أمية بن خلف: أو قد بعثتم إليه؟

أبو سفيـان: نعم، قد بعثنا إليـه أن أشراف قومك قد اجـتـمعوا لك ليكلموك..

أمية: أجل، ابعثوا إليه فكلموه.

أبو جهل: لن يستطيع اليوم أن يسحرنا بحديثه كما سحر أبا الوليد.

أبو سفيا: إن محمدا مقبل علينا.

أبو سفيان: ياأبا الحكم.. كلمه أنت.

ابوجهل: يا محمد.. إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وأنا واللات مـا نعلم

رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك؟. فإن كنت.. إنما جئت بهذا الحدث.. تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتي تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذى يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتي نبرئك منه.

وقال محمد: ما بى ما تقولون.. ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا. فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنياوالآخرة، وإن تردوه علىّ.. أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.

اصوات: إنه عير قابل.

أبو جهل: يا محمد!.. إن كنت غير قابل شيئا مما عرضناه عليك، فإنك تعلم أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، ليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق.

ويقول محمد... ما بهذا بُعثتُ إليكم!

أصوات: إنه غير قابل.

أبو جهل: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك.

أبو سفيان: وسلْه فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة، فإنك تقوم بالاسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه.

أمية: فليجعل لك قصورا، وكنوزا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك. إن كنت رسولا كما تزعم..

ويقول محمد.. ما أنا بفاعل.. وما أنا بالذى يسأل ربه هذا.. وما بعثت إليكم بهذا..

أصوات: فليرنا.. ما يتوعدنا به.

أبو جهل: نعم.. أرنا ما تتوعد! أسقط السماء علينا كسفا كما زعمت، فإن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

ويقول محمد: ذلك إلى الله.. إن شاء أن يفعله بكم فعل.

أبو جهل: يا محمد.. إنه قد بلغنا إنما يعلمك هذا الذى جئت به.. رجل باليمامة يقال له الرحمن، وأنا (واللات) لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك، وأنا واللات لا نتركك، وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا.

أبو سفيان: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة.

(ويقوم عنهم محمد يائسا.. وينصرف حزينا آسفا)

أبو جهل: يا معشر قريش.. إن محمد قد أبى ألا ما ترون.. من عيب ديننا، وشتم آلهتنا، وأنى أعاهد اللات لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله. فإذا سجد فى صلاته، رميته عليه. فأسلمونى عند ذلك، أو امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

أصوات: واللات.. لا نسلمك لشئ أبدا.. فامض لما تريد.

وتتوالى الصور. والمواقف، والشخصيات فى كتاب طه حسين «على هامش السيرة»..



المحمديات

محمدٌ أشرفُ الأعرابِ والعجم

محمدٌ خيرُ من يمشيِ على قدمِ

محمدٌ رُوَيتْ بالنور طينتهُ

محمدٌ لَمْ يَزَلْ نُوراً من العَدَمِ

محمدٌ خير خلق الله من مُضر

محمدٌ خيرُ رسْلِ اللهِ كلهمِ

●●● مع الكتاب والمفكرين؛ والأدباء والباحثين، فى أنحاد العالم، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين.. نصحبكم فى هذه الرحلة مع الكاتب الباحث المرحوم محمد صبيح.. وكتابه «محمد رسول الله» بأجزائه الثلاثة.

●● إذا بحثنا عن قوة إحتمال بعض الأنبياء فى أداء رسالتهم قبل الرسول الكريم، وجدنا فترة جهادهم محدودة، ولا تقاس بما واجهه سيدنا محمد من مشقة وصعاب.

فإبراهيم الخليل عليه السلام خاض معركته ضد الأصنام، ونُصب له موقد من النار، فوقف الله تعالى إلى جانبه، واقتضت إرادته أَن تكون برداٍ وسلاما. ومن قبله نوح (عليه السلام) دعا قومه، فلما استعصى عليه إيمانهم بدعوته، أغرق الطوفان الذين كفروا، وأنجى الذين آمنوا وبهذا حسمت إرادة الله الأمر بين الفريقين، وكذلك الأمر مع عاد وثمود لما انكروا داعى السماء بطشت بهم إرادة الله وأنهت كفرهم إنهاءً. وكذلك نتذكر قصة سيدنا يوسف، وامتحانه بالحسناء زوج العزيز التى استعصم منها. ولماَ ظهر موسى عليه السلام، لَقِىَ عناءً من فرعون، فنصره الله بآيات من السحر تمثلت فى عصاه. ثم تدخلت السماء لتنقذه وقومه من مطاردة فرعون وجنوده فتنجى فريقا، وتغرق فريقا.

فلمّا عـاند قوم موسى وهم فى برِية سيْناءٍ، ولم تعظهم معـجزات البحـر الذى جف ماؤه، ولا السحـرة الذين هزمـوا من قبل، أمـر الله تعـالى أن يظلّوا فـى برية سيْناء أربعين سنة، حـتى يبيـد جـيل الكفـر والعناد، ويظهر جيل الطاعة.. وليته استمر مطيعا بعد ذلك.

فلما زاد طغيان بنى أسرائيل، وعدوانهم على أنبيائـهم. بعث الله لهم، سيدنا عيسى ـ المسيح ابن مريم ـ مؤيدا بمعجزات شتى، أولها معجـزة مـيلاده، وأنه تكلم فى المهـد، واستـمـرت المعجـزات تؤيده خلال السنوات الثلاث التى عاشها معهم. ولم يؤمن له إلا الحواريون وما أقلهم، وأن منهم بعد ذلك من خانه.

إن هذا الاستعراض السريع لكفاح الأنبياء المرسلين من قبل سيدنا محـمدﷺ، تعطينا فكرة عن شدة الضغط الذى تحـمله نبـينا خـلال ثلاثة عشر عاما، والذى لا يقاس به ما تحمّله جميع رسل السماء من قبله.

● لماذا سـارت الدعـوة الإسـلامـية فى طريق المعـاناة الطويل، وفُرشت طريقها بالشوك الذى يدمر؟

إنها حكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، يروّض فيها نبيه المختار، ليضـرب أعظم الأمثال للبشرية كلها. فيما يمكن أن تكون عليه قوة الخلق، والصلابة فى الحق.

● ماذا حدث فى فترة المقاطعة والحصار التى فرضتها قريش على يالرسول الكريم، وقومه من بنى هاشم.. طوال عامين؟

حدث فى فترة الحصار والمقاطعة، أن حكيم بن حزام أراد أن يمدّ عمته السيدة خديجـة أم المؤمنين ببعض القمح، فسار إليها سرًا ومعه

غلام يحمل الزاد، فعثر بهما أبو جهل الذى صاح بأعلى صوته: أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟.. والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك فى مكة.

وسمع أبو البخترى بن هاشم بالمشادة، فأقبل يؤازر حكيما وغلامه وصاح فى أبى جهل.

البخترى: ماذا تريد منه يا أبا جهل؟

أبو جهل: إنه يحمل الطعام لبنى هاشم.

البخترى: هذا الطعام والقمح.. كانت عمته تضعه عنده.. أفتمنعه أن يعطيها حقها من طعامها؟ خلٍّ سبيل الرجل.

أبو جهل: لن يفلت أحد من الذى يمدون بنى هاشم بالطعام من قبضتى بعد ذلك.

●●● واجتمع خمسة من ذوى المكانة والنفوس الأبية، منهم هشام ابن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أبى أمية، وربيعة بن الأسود، والمطعم بن عدى، وأبو البخترى بن هشام، واتفقوا على فك الحصار عن بنى هاشم، فأقبلوا على شيوخ قريش، وهم مجتمعون، فقال زهير:

يا أهل مكة.. أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة التى وقعتم عليها؟

أبو جهل: كذبت.. والله لا تشق.

هشام: أنت والله أكذب.. ما رضينا كتابتها حيث كُتبت.

البخترى: صدق هشام.. لا نرضى ماكُتب فيها ولا نقر به.

أصوات: لا نقر ذلك.. لا نوافق.. احضورا صحيفة المقاطعة من داخل الكعبة.. احضروها.

أحدهم: يا قوم.. هذه هى الصحيفة.

أبو جهل: ماذا أرى.. أين الصحيفة؟

أحدهم: لقد أكلتها الأرضة يا أبا جهل.. ولم يبق إلا هذا الجزء الصغير.. عليه كلمة «باسمك اللهم».

وذهب رسول الله ﷺ، وأهله، وبنو هاشم إلى بيوتهم بعد هذا البلاء الطويل.

ولم يكن إنتهاء الحصار على بنى هاشم، هو خاتمة متاعب رسول الله ﷺ بل كان نهاية نوع فى هذه المتاعب، ليبدأ إمتحانا جديدا أشد، وأكثر إيلاما فى كل ما مر به.

فقد مات عمه أبو طالب، الذى كان حاميا له من إيذاء أعداء الإسلام. وماتت خديجة وقد قاربت الخامسة والستين وآخر دعائها أن «الحمد لله رب العالمين».

ومن هنا نستطيع أن نقدر عمق تأثير هذه الزوجة الباسلة فى نفس نبى عظيم، ومجاهد باسل، مثل رسول الله. ولهذا نجده عليه الصلاة والسلام إذا تحدث عنها بعد ذلك كان حديثا يقطر عطفا، وحنانا، ومحبة.

ومما قاله فيها ﷺ : والله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنتْ بى حين كفر الناس، وصدّقتنى إذ كذبنى الناس، وواستْنى بمالها إذْ حرمنى

الناس، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء..، قال هذا لمن.. لعائشة التى كان يحبها حبا جماً. وما لبث محمدﷺ بعد أن فقد هذين النصيرين أن رأى قريشا تزيد فى إيذائه.

●●● ويروى عروة بن الزبير أنه بعد وفاة أبى طالب عمد سفيه من سفهاء قريش إلى تراب فنثره على رأس رسول اللهﷺ. فذهب إلى بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة ابنته، وجعلت تغسل التراب وهي تبكى. وليس أوجع لنفوسنا من أن نسمع بكاء أبنائنا، وأوجع مِنه أن نسمع بكاء بناتنا. كل دمعة تسيل من مآقى البنت قطرة حمم تهوى على قلبنا فينقبض إنزعاجا، حتى لنكاد من شدة الإنزعاج نصيح ألما. وكل أنّة حزنٍ تثير فى الحشا وفى الكبد أنات ما أقساها، تختنق لها حلوقنا، وتكَاد تهْمِي بالدمع من وقعها عيوننا. وقد كان محمدﷺ أبرّ أب ببناته وأحناه عليهن. فماذا تراه صنع لبكاء هذه الأبنة التى فقدت منذ قريب أمها. ولبكائها هى من أجل ما أصاب أباها؟

لم يزده ذلك كله إلا توجها بقلبه إلى الله، وإيمانا بنصره إياه.

قال الرسول الكريم لأبنته وعينها تَهْمى بالدمع.. لا تبك يا بنية!.. فإن الله مانع أباك.. ثم كان يردد.. «والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب»

●●● فقد أصبحت مكة بعد موت أبى طالب جد الرسول الكريم، وخديجة زوجة الرسول.. أصبحت مكة فى نظر الحبيب المصطفى بعد عشر سنوات، أشبه بالحجر الأصم، لا ينفذ إلى اكثر قومها شىء من الدعوة. فاتجه إلى قبيلة ثقيف فى الطائف ولكنهم خذلوه وأغروا غلمانهم يسبّونه، ويقذفونه بالحجارة. وعلمت قريش بذلك، فقرروا إيذاءه، والتنكيل بمن اتبعوه.

وفي بطحاء مكة وقد حميت الظهيرة،.. رجال ونساء من أتباع محمد يضربون، ويعذّبون، ويعلو صياحهم. وقال بلال لإمرأة يسألها عما يحدث: أيتها المرأة .. لم يصنع بهم هذا؟

المرأة: (همسا) يفتنونهم عن دينهم يابلال.

بلال: قريش فعلت هذا اليوم!!

المرأة: نعم.. لقد قررت قريش إيذاء كل من أتبع النبى. فوثبت كل قبيلة على من فيها من أصحاب محمد من المستضعفين، يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب كما ترى، وبالجوّع والعطش وقد اشتد الحر.

بلال: ويل لهم!.. ويل لهم!

المرأة: (اسكت يابلال.. هذا أمية بن خلف عدو الله.. قادم.. وبجوارة عقبة)

بلال: أمية !!.. ويل لى

أمية: هذا أنت يا ابن الحبشية!..

عقبة: إنه من أتباع محمد المخلصين.

أمية: أيها الرجال.. اطرحوا ابن الحبشية على ظهره فى هذه الصحراء..

بلال: أتقوا غضب الله!.. أتقوا غضب الله!

أمية: أيها الرجال.. ضعوا على صدره هذه الصخرة الكبيرة.

بلال: أتقوا غضب الله!

أميـة: ستظل هكذا.. والصـخرة فوق صـدرك حتـى تموت يا ابن الحبشية أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزّى

بلال: أحد.. أحد..

عقبة: ستظل هكذا.. حتى تترك دين محمد وتعبد آلهتنا.

بلال: (صائحا) أحد.. أحد..

أبو بكر: ألا تتـقى الله فى هذا المسكين يا أمـية!.. إلى متى سوف تعذّبونه هكذا.

أمية: أنت الذى أفسدته يا أبا بكر.. فانقذه مما ترى!

أبو بكر: نعم أفعل.. عندى غلام أسود أقوى منه، أعطيكه.

أمية: قد قبلت.

أبو بكر: هو لك.. ردّ على بلالا.. أعتقه.

أمية: أيها الرجال.. استمروا فى تعذيب أصحاب محمد..

●●● وإذا كانت (ثقيف) قد صدّت رسول الله ﷺ وأشاحت عنه. فـقد عـمـد رسول الله إلى القـبائل الـوافدة إلى الحج، يعرض عليـهـا رسـالتـه، ورحل أيضـا إلى مـساكن هذه القـبـائل يدعـوها إلى دين الإسلام.

ذهب إلى قرى بنى حنيفة فى أقصى الشرق من الجزيرة العربية، وذهب إلى بنى عـامر بن صـعصعة، ولم يجد عند الجميع ردّا حسنا. ولكن بعضهم قال له: أرأيت إن نحن قد بـايعناك، ثم انتصرت على أعدائك، أفيكون لنا الأمر من بعدك؟

فرد رسول اللهﷺ: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء!!

وهذا كلام الصادق الأمين، فإنه على شدة حاجته إلى الأعوان، وإلى المؤازرين له، لم يشأ أن يبذل وعودا لا تتحقق. وقد فهم هؤلاء من رسالته أنهم سيحصلون على الحكم، والسيادة، والملك من بعده. ولهذا أجابوه.

ـ هل تعتقد أننا نعرّض أنفسنا للمهالك أمام العرب، وإذا انتصرت عليهم.. كان الحكم والملْك من بعدك لغيرنا..؟ لا حاجة لنا بأمرك!!

●● ويستعرض محمد صبيح في كتابه.. «محمد رسول الله» مواقف الرسول الكريم، مع وفود الأوس، والخزرج، لدعوتهم إلى دين الله. وكذلك مع بعض أهل يثرب. التي أصبحت بعد ذلك منطقة أمن المسلمين، وبدأ رسول اللهﷺ يأذن لأصحابه بالتسلل إليها في هدوء، ودون إشعار قريش بذلك.

وشقّ على المصطفىﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ولايقدر على أن يمنعهم منه، ولم يؤمر بقتال، فنصح لهم قائلا: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملِكا لا يُظْلم عنده أحد، وهى أرض صدْق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

رحّبت الحبشة بالمهاجرين الأولين، ثم مالبثت أن استقبلت أفواجا جديدة من الصحابة المؤمنين، حتى بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا وثمان عشرة أمرأة، خرجوا من ديارهم وأموالهم مهاجرين بدينهم. وثارت ثورة الوثنيين حينما رأوا أن ضحاياهم تفر من بين أيديهم. واشتعل غيظهم حينما علموا أن المهاجرين أفراداً من أسرهم، مثل أم حبيبة بنت أبى سفيان. فأرسلوا إلى النجاشي سفيرين هما عمر

بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة، ومعها هدايا نفيسة، وكانت غاية السفيرين ردّ اللاجئين، وليصوروا للنجاشى أن هؤلاء المهاجرين.. هم من الثائرين الخطرين، وأنهم جاءوا إلى الحبشة ليثيروا الفتن ضده، ويدعون إلى دين آخر غير المسيحية.

ولكن النجاشى أبى أن يسلمهم قبل أن ينظر فى أمرهم، ويسمع ما يقولون، وأمر باستدعاء رجال منهم.

فجاءوا، وقد دعا النجاشى أساقفته ومعهم كُتبهم الدينية، وسأل المهاجرين: «ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟».


قبس من سيرة الرسول الكريم
د. عبد الله شحاته

إلى من يهتف باسمه مئات الملايين من البشر في مشارق الأرض ومغاربها كل يوم.

إلى من بنى للأمة العربية مجدا، وجعل لها مكانا عاليا تحت الشمس في تاريخ الإنسانية.

إلى من هو الفرد الأكمل في عالم النبوّات والقبس المتلألىء في مجموعة الرسل محمد بن عبد الله ﷺ إليه.. صلوات الله عليه.. وأزكى السلام.. نستمد من سيرته العطرة، العبرة والعظة.. يارسول الله يا شفيعنا يوم القيامة والفرقان.

●●● ومع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين فى أنحاء العالم، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين، نصحبكم فى هذه الرحلة.. مع الدكتور عبد الله محمود شحاته وكتابه.. «قبس من سيرة الرسولﷺ» فيقول هذه قبسات من النبوة، لا أدعى أنها دراسة جامعة للسيرة النبوية، ولكنها عالجت بعض الجوانب فى حياة الرسول الأمين، وقدمت دراسة ميسرة لنواحٍ معينة من السيرة النبوية.

● ولماذا اخترت هذه النواحى المعينة؟

■ لأن هذه النواحى المعينة قد تميزت بإبراز خصائص الرسول الأمين ومعجزاته، وقد قسمتها إلى أربعة فصول:

خصائص الرسول الأمين، وحياة الرسول فى مكة والمدينة. وأخلاق الرسول وصفاته، ومعجزات الرسول. فقد أرسله الله رحمة للعالمين، وهداية للسالكين، وفضله على سائر الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله، واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا﴾

صدق الله العظيم

●●● هاجر النبىﷺ من مكة إلى المدينة، واستقبله أهل المدينة بالبشر والترحيب، وحاول كثير من أهلها أن يستميلوه إليهم وأن يستضيفوه عندهم، وجعل كل رجل يمسك بزمام ناقته «القصواء» ويقول كن ضيفي يا رسول الله، ولكنه كان يقول اتركوا الناقة فإنها مأمورة، ثم ذهبت ناقته إلى فناء متسع، وبركت فيه فقالﷺ.. هنا المنزل.. إن شاء الله، وعلى ساحة المربد الذى بركت فيه «القصواء» حين دخل المصطفى دار هجرته أمر عليه الصلاة والسلام أن يبنى هناك المسجد.

وشيد للإسلام أوّل مسجدٍ | بوادى (قبا) يسعى له فى تعبّد

وصلّى به لله شكرا رأى به | ومن معه فى أول العهد مسجدٍ

فطوبى لمن صلوا به من ورائه | وطوبى لمن فى مسجد الله شيّد

وطوبى ليوم فيه أول مسجد | أقيم ومن صلّى به أو تهجّد

ويقول الشاعر كامل أمين:

●●● وقد تنافس المهاجرون والأنصار فى بناء المسجد بما تيسر من مواد البناء ..اللبن والجريد والليف، وبعض الحجارة والخشب والمصطفىﷺ يشارك، ويوجّه، ويعين. ويمد يده فينفض الغبار عن لحى بعض صحابته، داعيا للمهاجرين منهم والأنصار، فيرددون دعاءه مرتجزين:

لا عيش إلا عيشُ الآخرة | اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

●●● وكان مسجدا بسيطا أصوله من الحجارة وسقف من جريد النخل. ولكن هذا المسجد البسيط فى بنائه قد أدّى رسالة عظيمة

لخدمة الدعوة الإسلامية، فأصبح معبدا للصلاة وبرلمانا للشورى ومقرا للسلطة التنفيذية. ومركزا للقيادة العليا، منه تصدر الدعوة إلى الله، والشرائع لخلقه، وجميع الخطط الإدارية والسياسية والعسكرية، وفيه تستقبل الوفود ويلقن العلم. ومن هذا المسجد الصغير تمّت تدريجيا الإدارة الإسلامية إلى أن شملت الجزيرة العربية كلها، ودانت الروم والفرس لها.

●●● وكان الرسول الكريم يجلس في المسجد، ومن حوله أبو بكر، وحمزة. ودخل عليهم سلمان الفارسي حاملا سلة كبيرة، ووقف بين يدي النبي علية أفضل الصلاة وأزكى السلام. وقال:

سلمان: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم.

وأخرج سلمان الفارسي طعاما من السلة وقرّبه إلى النبي.

ويقول محمدﷺ لأصحابه.. كلوا.

ويقول أبو بكر (ملتفتا حوله) أين عمر يا حمزة؟

حمزة: عمر بن الخطاب؟.. إنه ذهب يشتري خشبتين للناقوس. (وهمس سلمان الفارسي لأبي بكر مشيرا للنبي)

سلمان: إنه لم يأكل. ويقول أبو بكر لسلمان. إن رسول الله لا يأكل الصدقة.

سلمان: (لنفسه فرحا) هذه واحدة.. سأخرج شيئا آخر من السلة وأقدمها إلى الرسول.. إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة.. فهذه هدية اكرمتك بها.

ويتناول الرسول الكريم منها ويأكل.. قائلا.. بسم الله!

سلمان: أقبل يديك.. اللهم أحمدك.. اللهم أحمدك!

ويقول محمد.. ما شأنك يا هذا؟!

سلمان: لقد وجدتُ النبى الذى أُخبرتُ به

ويقول محمد.. من أهل أى البلاد أنت؟

سلمان: من فارس يا رسول الله وأُدْعى سلمان، وقد خرجت من بلادى وكنت غلاما حدثا أبغى دين الحق.. حتى وجدتك. آخر الأمر.. ولكن الرق يشغلنى.

ويقول محمدﷺ الرق!!

سلمان: نعم.

ويقول محمدﷺ كاتب يا سلمان!!

سلمان: نعم سأكاتب صاحبى اليهودى على نخل أحييه له، إذ لا مال عندى اشترى به نفسى.

ويقول محمدﷺ.. اعينوا أخاكم..

ويقول أبو بكر: نعم.. نعينك يا سلمان بالنخل..

● ● ● ويُقبِّل سلمان الفارسى النبى، ويخرج، ويقدم عمر بن الخطاب، ويقول له أبو بكر: أجئت بخشبة الناقوس كى تدعو إلى الصلاة.

ويقول عمر: كلا!!

ويقول أبو بكر: لماذا؟

ويقول عمر للنبىﷺ.. يا رسول الله لقد طاف بى هذه الليلة طائف يهتف.. «لاتجعلوا الناقوس بل أذّنوا للصلاة».

بلال: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر

ويقول عمر: عجبا هذا صوت بلال

ويقول محمدﷺ: قد سبقك بذلك الوحى.. ياعمر.

ويقول عمر: والله ما كرهت شيئا مثل أن نجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم.. ولا مثل الناقوس.

بلال: أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله! حى على الصلاة! حى على الصلاة! حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، لا إله إلا الله.

● ● ● وقد كانت المدينة قبل الهجرة ميدانا للصراع، والنزاع بين الأوس والخزرج وكان اليهود يشعلون نار الفتنة بينهما.

فلما هاجر الرسولﷺ وضع حجر الأساس لنظام إسلامى رائع، فآخى بين المهاجرين والأنصار، وقضى على معالم الجاهلية وتنازعها، وجعل للرجل من قريش أخا من الأوس. وللآخر أخا من الخزرج.

ومازال يؤاخى بين هذا وذاك، ويعقد بينهم أواصر أخوة فى الله، حتى شمل القبائل والبطون، ووصل بهذا التآخى فى العقيدة إلى مقام أسمى من أخوة الدم والنسب، وبهذه المؤاخاة ازدادت وحدة المسلمين

تأكيدا. وامتنّ الله على رسوله بهذه الإخوة فقال سبحانه:

﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا، ماألفّت بين قلوبهم، ولكن الله ألّف بينهم، إنه عزيز حكيم﴾

صدق الله العظيم

من دروس الهجرة

د. سعد ظلام

●●● مع الكتّاب والمفكرين، والأدباء والباحثين فى أنحاء العـالم، ورؤى جـديدة فى السـيـرة العطرة لخـاتم الأنبـيـاء والمرسلين سيـدنا مـحـمـدﷺ.. نعـيش هذه الرحلة مع كتـاب جـديد هو «من دروس الـهـجـرة» للدكـتـور سعـد ظلام.. الذى يتناول رؤى جديدة فى السيرة العطرة، وخاصة الهجرة.

●●● فقد تناول المؤلف فى كتابه.. مبدأ الإيمان، والثبات عليه. والهجرة بين الحبشة والمدينة. والدروس المستفادة من هذه الهجرة.. من ناحية مرحلة الإعداد، والكتمان، ومرحلة التنفيذ. ودور الرسول الكريم فى المدينة، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمعاهدة بين الرسول وبين اليهود.

ويحاول المؤلف أن يضع تصورا لفكرة الهجرة، وأهدافها ووضعها فى مسيرة الدعوة، وأثرها على مستقبل الإسلام والأمة الإسلامية، وكيف أنها كانت فيصلا بين عهدين.

● ماهما؟

ـ عهد من الجهاد بالكلمة والحجة، تطاولت فيه قريش، وصال الباطل وجال.. اعتداءً، وإيذاءً وبغياً وعدوانا، فلم تُجْدِ الكلمة فى هؤلاء الوثنيين. وكان لابد من وقفة، وكان لابد من إحداث تغيير عظيم فى الوسائل لحماية الغايات العليا، والأهداف السامية، وهذا ما حدث. منذ بيعة العقبة الثانية.. بعد أن وجدت الكلمة الفاهمة أنصارا لها وعونا وحماية وعزة ومنعة.

● والعهد الآخر؟

ـ والعهد الآخر منذ هاجر الرسول، بدا عهد جديد تحقق فيه

الجهاد بكل أنواعه، ويبدأ عهد للإسلام جديد وكان العهد المكّى الاساس والمقدمة الطبيعية للإنطلاقة الكبرى التى دفعت الإسلام إلى مرافئ المجد والخلود.

ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعيد النظر عندما أرّخ للإسلام بالهجرة الشريفة.

●●● ونقف عند هذا المشهد فى الحبشة، عندما قرر النجاشى أن يستمع إلى المهاجرين ويمثلهم جعفر بن أبى طالب، وابن مظعون ووفد المشركين ويمثلهم عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص قبل إسلامه. ويقول للنجاشى الذى كان يجلس على عرشه بين بطارقه:

عمرو: أيها الملك.. إنّا قد جئنا نسألك أمرا. لقد أوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارتدوا عن دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا فيهم.. أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم، وعشائرهم، لتردهم إليهم. فهم أعلم بما غابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

بطريق: صدقا أيها الملك، قومهم أعلم بما عابوا، فأسلمهم إليهما.

النجاشى: (غاضبا) لن أسلمهم حتى أدعوهم، فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاورونى.. علىَّ بهم.. وعلىّ بأساقفتى!

●● ويسرع بعض أعوانه صادعين بأمره، وتدخل الأساقفة، ويدخل المهاجرون من أصحاب محمد.. بينهم ابن مظعون، وجعفر

ابن أبى طالب ويتهامسون مضطربين، إذ يرون عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، بينما ينشر الأساقفة مصاحفهم حول النجاشي.

جعفر: ماذا ترى يا ابن مظعون.. لقد وشى بنا قومنا.

ابن مظعون: (همسا) نعم يا جعفر.. وشوا بنا للملك.. وما نقول له الآن؟

جعفر: نقول.. ما أمرنا به نبينا..

النجاشي: تقدموا يا أصحاب محمد.

أصوات: أيها الملك..

النجاشي: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الملل؟

جعفر: أيها الملك!!.. كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف.. فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

النجاشي: وماذا أمركم أيضا؟

جعفر: لقد أمرنا.. أيها الملك!.. بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام..

فصدّقناه.. وآمنا به، وأتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا. فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا وظلمونا، خرجنا إلى بلادك. واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك. ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

النجاشى: هل معك مما جاء به نبيكم عن الله من شىء؟

جعفر: نعم.

النجاشى: اقرأه على!

●● فقرأ جعفر بن أبى طالب آيات من سورة مريم، لم تكد تُترَجْم وتنفذ إلى سمع النجاشى، حتى اغرورقت عيناه بالدمع خشوعا وتأثرا، وكذلك بكى أساقفته. وقال النجاشى موجها خطابه إلى عمرو ابن العاص وعبد الله بن ربيعة.

النجاشى: ان هذا الذى سمعتُ، والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.. انطلقا، فلا والله.. لا أسلمهم إليكما..

●●● ومن هنا كانت الهجرة إلى الحبشة هجرة التجاء فقط.. لم يرض الرسول بها، ولم يكن بالطبع، ولا من الجائز لصاحب الدعوة إن يهاجر إلى الحبشة. فقد وثق أنها لا تصلح لتكون نقطة إرتكاز وإنطلاق.

لقد كان الرسول الكريمﷺ على إدراك تام بكل الظروف الإجتماعية، والإقتصادية، والسكانية أو الدينية لأهل المدينة(يثرب). ورأى أن بقاءه فى مكة لا يفيد الدعوة، فقرر الإنطلاق إلى المدينة.

واستقر الرسول الكريمﷺ على الهجرة، وفكر فى أن يتخذ مكانا آخر للدعوة. ولذلك قرر الرسول الكريم أن يبقى فى مكة ريثما تسنح الفرصة، والظروف. وهيأ الله له قلوب الأنصار، وفتح بقبولهم لدعوته فتحا جديدا لفكرة الدولة لدى الرسول العظيم. فتحدد هدف الهجرة، ولكن بقى أن يتحدّد وقتها. وأذن رسول الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة.. فبادر الناس وخرجوا تباعا فى السر. ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول اللهﷺ وأبو بكر وعلى. وخافت قريش خروج الرسول الكريم، ولحاقه بهم. فاجتمعوا فى دار الندوة، ليدبروا قتله. وقد أعد الرسول عدّته انتظارا ليأذن الله له بالهجرة. وكان أبو بكر كلما استأذن الرسول فى الهجرة استمهله الرسول ويقول له يا أبا بكر.. لعل الله متخذ لك صاحبا..

الرسول فى رمضان

على حسن الخربوطلى

●●● فى الحياة دائما فاضل ومفضول، فقد شاء الله عز وجل أن يخص بعض مخلوقاته بخصائص ومميزات، جعلتها تفضل على غيرها. وكما أن يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، فإن شهر رمضان هو أفضل شهور العام. وشهر رمضان هو الذى أنزل الله سبحانه وتعالى فيه القرآن الكريم، هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان. وهوالشهر الذى خصّه المولى بصيام المسلمين.

●● وليلة القدر هى إحدى لياليه المباركة، وقد وصفها الله بأنها خير من ألف شهر. وشهر رمضان هو شهر العبادة، والتوبة، والتحبب إلى الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

وكانت أيام الرسولﷺ كلها خيراً وبركة. ودراسة على حسنى الخربوطلى عن «الرسول الكريم فى رمضان» يسلط فيها الأضواء على جانب من جوانب حياة الرسول المجيدة المباركة. فيمدنا بصور لحياة الرسول الكريم فى شهر رمضان المعظم.

●● كان الرسول الكريم محمدﷺ يقصد غار حراء فى رمضان من كل سنة.

وقد شاهد راعيان يرعيان الغنم على مقربة من الغار الرسول الكريم.. ودار بينهما ذلك الحوار.

الراعى الأول: أترى هذا الغار؟

الراعى الثانى: نعم.

الراعى الأول: لقد أبصرته كثيرا يخلو به فيتعبّد فيه.

الراعى الثانى: وحده؟

الراعى الأول: نعم وحده.

الراعى الثانى: أنظر!

الراعى الأول: ماذا؟

الراعى الثانى: إنه مقبل.

الراعى الأول: نعم، إنه متجه إلى الغار.

الراعى الثانى: إن معه زاده.

الراعى الأول: نعم، إنه يتزود لذلك.

الراعى الثانى: إختبىء كى لا يبصرنا.

●● وكان محمدﷺ يسير إلى الغار فى صمت ويضع زاده بمدخله ثم يسجد طويلا. وينظر إلى السماء، ويقول.. «ألم يأن لى أن أرى وجهك الذى أشرقت له الظلمات؟»

●● ويستمر الحوار بين الراعيين، ويهمس الأول إلى صاحبه قائلا:

الرعى الأول: أرأيت؟

الراعى الثانى: نعم.

الراعى الأول: إنه يلبث كذلك متحنثا الليالى الطوال.

الراعى الثانى: ألا ينام؟

الراعى الأول: لعله ينام وهو فى موضعه هذا.

الراعى الثانى: إن فعله ينفذ إلى قلبى.

الراعى الأول: هيا بنا.

●●● وكان محمد يناجى ربه.. يارب هذا الكون! ياخالق هذه السموات! ياخالق الشمس والقمر والنجوم! ياخالق هذه الأرض وهذه الجبال! ياربى وخالقى وخالق الكائنات!.. أ ريد وجهك، أريد وجهك..»

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها، عن رسول اللهﷺ: «وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده».

وفى هذا الغار، وفى رمضان المعظم، نزل الوحى بكتاب الله العزيز، القرآن الكريم، وبدأ دور جديد عظيم فى تاريخ البشرية جمعاء.

●●● ظل الرسولﷺ، بعد البعثة النبوية، ثلاث سنوات يدعو إلى الإسلام سرًا كل من يثق فيه أو يرى منه قبولا للدين الجديد. وأول من آمنت به السيدة خديجة رضى الله عنها. وعلى بن أبى طالب، ثم زيد بن حارثة مولى الرسول. ثم أسلم أبو بكر صديق الرسول الحميم. وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام.

وكان الرسولﷺ يصلى هو والمسلمون خفية فى شعاب مكة. إلى أن أمره الله بإظهار دينه، وأعلن الدعوة إلى وحدانية الله. واشتد إيذاء قريش للمسلمين. فكانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة.

واستمر الرسول يدعو الناس إلى الإسلام، فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب، كف القرشيون عن بعض أذاهم، حتى أسلم عمر بن الخطاب. جهر المسلمون بتلاوة القرآن الكريم، وصلّوا عند الكعبة، واعتنق الإسلام كثير من الناس اقتداء بحمزة وعمر.

ثم كانت هجرة الرسول والمسلمين إلى المدينة. وفى السنة الثانية من الهجرة، فرض الله عز وجل على المسلمين صيام شهر رمضان، وكان ذلك قبل غزوة بدر.

وكان جبريل فى شهر رمضان كثير الملازمة لرسول الله ﷺ، يتدارسان القرآن الكريم فى لياليه.

وقد خص الله الأمة الإسلامية فى شهر رمضان بمزايا عديدة، وفضائل جليلة، يفصح لنا عنها رسول الله ﷺ، بقوله:

أُعطيتْ أمتى خمساً فى رمضان لم يعطهن نبىٌّ قبلى:

الأولى: إذا كان أول ليلة من رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

الثانية: فإن خُلوف أفواههم حين يمسُون أطيب عند الله من ريح المسْك.

الثالثة: فإن الملائكة يستغفرون لهم فى كل ليلة.

الرابعة: فإن الله عز وجل يأمر جنته ويقول لها: استعدى وتزينى لعبادى الصائمين، فقد أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى.

الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة من رمضان غفر لهم جميعا.

فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر يا رسول الله؟ فقال الرسول: ألم ترإلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوّا أجورهم؟

●● ونستعرض معا صورا من حياة الرسول الكريم فى رمضان المبارك. ففى منتصف شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة كان

مولد حفيد الرسول، الحسن بن على بن أبى طالب. واحتفل الرسول، وابنته فاطمة، وعلى، المسلمون جميعا بمولد الحسن. والرسول الكريم هو الذى أسماه حسن، وكذلك الحسين.

وفى رمضان كانت موقعة بدر فى ١٧ ـ ١٨ رمضان من السنة الثانية للهجرة، فكانت معركة الربيع، ربيع الإسلام وبداية انتعاشه.

وفى رمضان من السنة الثامنة،نصر الله عبده، وتم فتح مكة. وقصد الرسول إلى الكعبة ليقضى الطواف، فطاف بها سبعا على راحلته. فلما قضى طوافه، قام على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ودالت دولة الأصنام، وتم تطهير الكعبة مما حولها من أوثان، وكان عددها يبلغ ثلثمائة وستين صنما.

وفى شهر رمضان الكريم أيضا. انتشر الإسلام فى أرجاء الجزيرة العربية انتشارا واسعا. وشهد قدوم وفود العرب من كل مكان على الرسول بالمدينة. تعلن اعتناقها الإسلام. وكان ذلك فى السنة التاسعة الهجرية.. التى أطلق عليها اسم «سنة الوفود».

وشهد رمضان فى السنة العاشرة من الهجرة، انتشار الإسلام فى بلاد اليمن. فقد بعث الرسولﷺ فى رمضان من هذه السنة، على بن أبى طالب فى سرية من المسلمين إلى بلاد اليمن واعتنقت قبيلة همدان الإسلام.

وكتب على كتابا إلى الرسول ينبئه بإسلام همدان، فسجد الرسول شكرا لله عز وجل وقال: «السلام على همدان». ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام.

●●● ماهى سنة الرسولﷺ فى رمضان الكريم؟

ـ لقد حث الرسولﷺ المسلمين على قراءة القرآن الكريم. وكان الرسول أشد ما يكون مدارسة للقرآن فى شهر رمضان. فقد روى أبو أمامه رضى الله عنه أنه سمع النبىﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه».

وحث الرسولﷺ المسلمين على الصيام فى كثير من الأحاديث الشريفة. وكان الرسول يبشر أصحابة بقدوم رمضان ويقول: «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك كتب عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر». كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو علمتْ أمَّتى ما فى رمضان من الخير، لتمنّت أن يكون رمضان السنة كلها».

● كيف كان الرسول الكريم يفطر ويتسحر؟

ـ كان الرسولﷺ يفطر قبل أن يصلىّ. وكان فطره على رطبات إن وجدها. فإن لم يجدها فعلى تمرات. ويذكر عنهﷺ أنه كان يقول عند فطره: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم».

●●● ومن هدى الرسولﷺ فى شهر رمضان الأكثار من أنواع العبادات. فكان «يخص رمضان من العبادة»، ويكثر «من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن لكريم والصلاة والذكر والاعتكاف».

وكان الرسول الكريم يعتكف العشر الأواخر من رمضان، لالتماس ليلة القدر. ولإحياء الأيام الأخيرة من هذا الشهر الفضيل. ولنا فى رسول الله أسوة حسنة. باأيها الذين آمنوا.. صلّوا عليه وسلّموا تسليما.

الرسول فى المدينة

على حسن الخربوطلى

ونستكمل رحلتنا مع الأدباء والمفكرين، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة ونعيش مع كتاب «الرسولﷺ... فى المدينة» للدكتور على حسنى الخربوطلى.

ويتناول فى رحلته، ورؤيته.. عدة موضوعات هامة عن هجرة الرسول الكريم إلى المدينة، وأثرها فى قيام الدولة الإسلامية. وأيضا العوامل التى أدت إلى دعوة الرسول الكريم إلى الهجرة إلى المدينة. ثم قيام المجتمع الجديد فى المدينة. ومقومات الدولة العربية الإسلامية وموقف اليهود من قيام الدولة العربية الإسلامية. فكيف كانت الحياة السياسية والدينية فى المدينة قبل الهجرة؟

●● لم تنجح المدن الحجازية (مكة، ويثرب، والطائف) مثل الدول اليمنية (الدولة المعينية والسبئية والحميرية) فى أن توحّد كلمتها بحيث تقيم دولة واحدة كبرى تضم هذه المدن المتناثرة كما حدث فى اليمن.

كان العمالقة أول من سكنوا يثرب (وهى تقع على بعد ثلاثمائة ميل إلى الشمال من مكة) وينتسبون إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح. أى أنهم من الجنس السامى.

ثم قدمت إلى يثرب قبائل يهودية خرجت من بلاد الشام سنة ٧٠م بعد اضطهاد الرومان لهم. وسرعان ما تغلب هؤلاء اليهود على العمالقة (سكان يثرب الأصليين). وكان أشهر القبائل اليهودية بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع.

وتناثرت الجماعات اليهودية فى أرجاء الأرض، حاملة معها تفكيرها البدائى الذى يذهب إلى أن بنى أسرائيل خير الأمم، لأنهم شعب الله المختار. فهم شعب (يهوه)، وزعموا أيضا أن أرض إسرائيل أحسن البلاد لأنها موطن (يهوه).

ويتسائل البعض لماذا استقرت القبائل اليهودية فى يثرب دون مكة أو الطائف؟

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: كانت مكة مركز الوثنية فى الجزيرة العربية، وقد تمسك أهل مكة بوثنيتهم التى كانت تدر عليهم أرباحا طائلة. فلم يكونوا يسمحون بإقامة اليهود بينهم.

كما كانت مكة قاحلة جدباء فقيرة فى مواردها الاقتصادية بحيث لا تحقق أطماع اليهود فى الإستثمار الأقتصادى.

ولماذا لم يقصد اليهود الطائف للإقامة فيها، وهى تتمتع برخاء اقتصادى؟

لأن الطائف كانت على مسافة قريبة من مكة، وارتبطت بها ارتباطا اقتصاديا وثيقا. أما يثرب فقد تميزت بخصوبة أرضها ووفرة آبارها وعيونها. واتجه اليهود إلى صناعة الآلات الزراعية. وظل الأمر كذلك حتى قدوم قبيلتى الأوس والخزرج من اليمن بعد أن تصدّع سد مأرب هناك.

ومرت السنوات، وثبتت أقدام الأوس والخزرج فى يثرب إلى أن أقدم مالك بن العجلان من الأوس على قتل ملك اليهود (الفطيون)..

لماذا؟

لأنه كان ملكا فاجرا فاسقا. يرغم الناس على ألا تتزوج إمرأة إلا ويدخل بها قبل زواجها. وأدت هذه الحادثة إلى بداية الصدام الحربى بين اليهود وعرب الأوس والخزرج.. فى عدة معارك.

لقد استمرت عدة سنوات.. واستطاع اليهود أن يوقعوا بين الأوس والخزرج، فدارت بينهما عدة حروب.. إلى أن تم الصلح بينهما، وإقامة حكومة مشتركة تنظم العلاقات بين أهل يثرب واختاروا زعيم الخزرج عبد الله بن أُبَىْ بن سلول رئيسا لهذا الحكومة.

وبينما كـان الخزرجيون ينظمون لـه التاج ليتوّجوه ملكا عليهم، هاجر الرسولﷺ من مكة إلى يثرب، فدخل تاريخها مرحلة جديدة، وتحـول اسـمـهـا إلى «المدينة المنورة» فـقد استنارت بأنوار الإسـلام، وأنوار الرسول الكريمﷺ.

فى يثرب.. جمعٌ من الإنصار والمهاجرين ينتظرون على أبواب المدينة فى قيظ النهار. ويتساءل الأنصار والمهاجرون.

الأنصار: ألم يقدم بعد؟

المهاجرون: نرجو أن يقدم اليوم؟

يهودى: كل يوم تقولون هذا.

عبد الله (من الأنصار)، ماذا تقول أيها اليهودى: إنّا لنخرج من أول النهار من كل يوم، نتحيّن قدومه حتى تحرقنا الشمس فنرجع إلى منازلنا.

أبو أيوب: (من الأنصار) صبرا يا عبد الله.

عبد الله: والله لا أجد بى صبرا يا أبا أيوب.. أريد أن أنظر إليه وأرى وجهه.

أبو أيوب: أنا أيضا.. أبغى رؤية ذلك الذى ملأ قلوبنا بالهدى.

عتبان: (من الأنصار) صدقتما والله، لقد اتبعناه وأحببناه وما رأيناه!

اليهودى: أو سمعتم بمخرجه وحده؟

عبد الله: لقد سمعنا بمخرجه من مكة هو وأبو بكر.

أبو أيوب: إن الشمس قد غلبتنا، ولم يبق ظل، فلندخل بيوتنا، فما أحسبه آتيا اليوم.

الجميع: نعم.. نعم.. فلندخل بيوتنا.

وينصرفون إلى بيوتهم، ما عدا اليهودى فإنه يصعد إلى أكمة لبعض شأنه، ولا يكادون يدخلون منازلهم حتى تقبل الراحلتان وعليهما محمد وأبو بكر وأبن أريقط.

اليهودى: ماذا أرى.. ماذا أرى.. لا شك أنه الرسول.. (يصرخ) يا أيها الناس.. يا أيها الناس.. هذا صاحبكم قد جاء.

الجميع: نعم.. إنه هو.. هو.. الله أكبر.. الله أكبر.. جاء نبى الله.. جاء نبى الله.

ويقبل الحصين بن سلام وهو من اليهود، مع عمته خالدة ليرى محمدا.

الحصين: (فى حماس) الله أكبر.. الله أكبر.

خالدة: خيّبك الله!.. والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت!

الحصين: أى عمة!!.. هو والله أخو موسى بن عمران.. وعلى دينه. بعث بما بعث به.

خالدة: يا ابن أخى، أهو النبى الذى كنا نُخْبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟

الحصين: نعم.

خالدة: فذاك إذن.

الحصين: هلمي نره!

خالدة: أيها النبى.. وأيهما أبو بكر.

الحصين: لقد زال الظل عن أحدهما فقام الآخر إليه يظلّه بردائه.

خالدة: هو إذن هذا.

الجميع: يا رسول الله.. جئتنا بالهدى.. أهدنا إلى الله!

يقول محمدﷺ: أيهما الناس.. افشوا السلام.. اطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا والناس نيام، وادخلوا الجنة بسلام.

الجميع: اركب آمنا مطاعا. (يصيحون) نبى الله جاء!.. نبى الله جاء.

واعترض طريق النبى بنو سالم، وبنو عدْى، وبنو الحارث، كل يريد أن ينزل عندهم، ويحاولون الإمساك بخطام الناقة القصواء.

يقول محدﷺ: إنها مأمورة.. إنها مأمورة.. خلّوا سبيلها.

الجميع: لقد وقفت الناقة.. وبركت.

وسأل الرسول الكريم لمن المريد؟.. فقال معاذ بن عفراء.. هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو. وهمس الرسول الكريم فى أذن أبى بكر.. الذى قال: سيبتاع النبى هذا المكان، ويرضيهما منه.. فهنا يبنى مسجد الله.. ومسكن رسوله..

ونزل الرسول الكريمﷺ فى دار أبى أيوب الأنصارى حتى يتم بناء المسجد والمساكن وكان المسلمون يترنمون بهذه الأغنية:

طلع البـــــدر علينا   من ثنيـــــات الوداع

وجب الشكر علينا | ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا | جئت بالأمر المطاع

●● وكانت نهاية هذه الرحلة الموفقة من الله ظهر يوم الأثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول، واشتهرت السنة التى رحل فيها الرسول باسم «سنة الهجرة» واتخذها المسلمون بدءاً لتاريخهم وهى توافق سنة ٦٢٢ ميلادية.

ويرى الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتابه «الرسولﷺ فى المدينة» أن الرسول الكريمﷺ.. لو لبث فى مكة حتى ولو كتب له فى النهاية الإنتصار على أعدائه لمكث الإسلام فيها معه. إذ لا شك فى أن عرب الجزيرة جميعها كانوا يندفعون إلى الإتحاد ويحاولون منع الدين الجديد من اجتياز حدود مكة خشية أن يزيد انتشار الإسلام فى عزة قريش.

والإسلام دين عالمى، والرسول.. هو رسول الله إلى العالمين.. ولذا كانت الهجرة هى خروج بالإسلام من نطاق مكة إلى آفاق جديدة.

وأصبحت المدينة المنورة هى نقطة انطلاق الإسلام إلى كافة أرجاء العالم، تحقيقا لعالمية الدين الإسلامى.

وكان على الرسول الكريم بعد الهجرة والاستقرار فى المدينة أن يرسى قواعد المجتمع الجديد الذى سيحمل لواء الإسلام ويعمل على نشره داخل الجزيرة العربية وخارجها.

وسيواجه الرسولﷺ.. أعداد كثيرين خارجيين فى مقدمتهم قبيلة قريش التى لا زالت تصر على وثنيتها، وجاهليتها. وكان بالمدينة

عند الهجرة المسلمون الجدد من الأوس والخزرج، وقد أطلق عليهم اسم «الأنصار».

وبعض مشركى هاتين القبليتين، واليهود. ثم وفد إليهم المهاجرون بعد أن تركوا أملاكهم وأموالهم فى مكة.

ويصف المستشرق «توماس أرنولد» فى كتابه الدعوة إلى الإسلام أن هجرة الرسول إلى المدينة.. بأنها بداية الحياة القومية للإسلام.

●●●

●●● تحت نخلة لأحد اليهود فى المدينة، جلس سلمان الفارسى، وعبد من العبيد يتحادثان.

العبد: لقد قصصت عليك أمرى يا سلمان.. فقص علىّ أمرك.

سلمان: والله إن أمرى لعجب.

العبد: أين كنت قبل أن يبتاعك هذا اليهودى.

سلمان: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من قرية يقال لها «حى». وكان أبى دهقان قريته. وكنت أحب خلق الله إليه. ولذلك حبسنى.

العبد: كنت أحب خلق الله إليه.. ويحبسك.. كيف؟

سلمان: لقد حبسنى خشية أن اتصل بالنصارى فى كنيستهم.

العبد: ولماذا؟

سلمان: لأننى كنت مجوسيا.. وكان أبى يريد منى أن أعبد النار ولم أكن مؤمنا بها.

العبد:وكيف خرجت من سجنك؟

سلمان: لقد أمرنى أبى ذات يوم ببعض الأمور فى رعاية ضيعته الكبيرة.. فخرجت.. وسمعت أصواتا من بالكنيسة وهم يصلون.. فأعجبتنى صلاتهم.

العبد: وهل صليت معهم؟

سلمان: لقد سألتهم.. عن أصل هذا الدين.. فقالوا إنه فى الشام وسوف ترحل قافلة إلى هناك.

العبد: وماذا فعلت يا سلمان؟

سلمان: لقد رحلت مع القافلة إلى الشام، وهناك التقيت بأحد الأساقفة فى كنيسة هناك. وصليت معه، ولكننى رأيته رجل سوء يأمرهم بالصدقة، فإذا جمعوا إليه شيئا منها أكتنزه لنفسه. ثم مات. وقبل أن يدفنوه قلت لهم الحقيقة.

العبد: قلت لهم الحقيقة؟

سلمان: نعم..

العبد: فماذا فعلوا؟

سلمان: لقد صلبوه ورجموه بالحجارة. وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه فما رأيت أزهد منه فى الدنيا، ولا أرغب فى الآخرة. فأحببته حبا شديدا. ثم حضرته الوفاة.

العبد: وماذا فعلت حينئذ؟

سلمان: لقد أوصانى بأن ألحق بصاحب الموصل. وذهبت إليه. ثم مات.. وقد أوصانى قبل مماته بالذهاب إلى رجل بعمورية من

أرض الروم. وقبل أن يموت قال لى.. سيبعث نبى على دين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب. به علامات لا تخفى. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة.

العبد: ولهذا جئت إلى أرض العرب؟

سلمان: وركبت مع قافلة من التجار كانت ذاهبة إلى بلاد العرب. ولكنهم باعونى إلى يهودى بوادى القرى.

العبد: وكيف وصلت إلى هنا؟

سلمان: ذات يوم قدم إلى اليهودى ابن عمه من المدينة وهو سيدنا عازر هذا فابتعانى منه، واحتملنى إلى هنا..

عازر: ما بالكما قد تركتما العمل وجلستما هذا المجلس أيها الخاسران؟

سلمان: هيا يا صاحبى نعتلى النخلة.. هيا

عازر: ماذا كان يقص عليك سلمان.. هذا النصرانى؟ إنى لم ابتعكما بالمال كى تجلسا وتتناجيان تحت النخيل. والله إنى لأعرف لكما دواء ناجعا.. الجوع.

اليهودى رافع: (صائحا) ياعازر.. يا عازر

عازر: مالك يا رافع

رافع: قاتل الله هؤلاء القوم..

عازر: لماذا؟

رافع: والله إنهم لمجتمعون على رجل قدم عليهم اليوم من مكة..

يزعمون أنه نبى؟

سلمان: (صائحا) ماذا تقول سيدى رافع؟

عازر: مالك ولهذا يا سلمان؟! اقبل على عملك..

سلمان: أيكون هو النبى الذى أبحث عنه طوال عمرى؟!!

●●

ونستكمل رحلتنا مع الدكتور على الخربوطلى فى كتابه «الرسولﷺ.. فى المدينة». ويبدأ بناء المسجد، فأصلح المسلمون من شأن الأرض لتصلح لإقامة المسجد.

وعند وضع الأساس، حمل الرسولﷺ حجرا كبيرا، وأراد أصحابه أن يمنعوه، ولكن الرسول وضع الحجر فى موضعه. ثم وضع أبو بكر حجرا ثانيا ووضع عمر بن الخطاب حجرا ثاثا.. وتوالى المسلمون وكل يضع حجرا. كان المسجد بسيطا فى مظهره، وطريقة بنائه. وكانت مساحة المسجد حوالى مائة ذراع مربع. وكان له ثلاثة أبواب. أحدها نحو الجنوب حيث أصبحت القبلة فيما بعد، والثانى وكان يسمى باب جبريل، والثالث باب الرحمة. أما المنبر فكان من جذوع النخيل يعتليه الرسول وقت الخطبة.

وخطب الرسول الكريمﷺ.. فقال:

«إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زيّنه الله فى قلبه، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه

أحسن الحديث وأبلغه. أحبّوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملّوا كلام الله وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتقوا الله حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب بأن ينكث عهده، والسلام عليكم،

●●● ويقترب الحصين بن سلام من النبى ﷺ ويهمس إليه.

الحصين بن سلام: يا رسول الله.. إنى كما تعلم يهودى وقد أسلمت، ولكن اليهود قوم بهت، وإنى أحب أن تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن علموا به بهتونى وحاجونى.

●● وابتعد الحصين بن سلام عن النبى ﷺ خفية، كما دنا منه بدون أن يلحظه أحد. وقال الرسول الكريم مخاطبا اليهود.

محمد ﷺ: يا معشر يهود.. أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟

اليهود: هو سيدنا.. وابن سيدنا.. وحبرنا.. وعالمنا.

الحصين: يا معشر يهود!.. أتقوا الله واقبلوا ما جاء به محمد، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراه باسمه وصفته.

اليهود: (فى عجب) أوقد أسلمت؟

الحصين: نعم.. وإنى أشهد أنه رسول الله، وأؤمن به وأصدقه، وأعرفه.

اليهود: (فى غضب) كذبت.. كذبت.. كذبت.

شويل: ما هذا بالنبى الذى كنا نذكره، وننتظر بعثه، وما جاءنا بشيء نعرفه.

أشيع: (صائحا).. معك حق يا شمويل.. إن الحصين قد أفسد علينا.

فنحاص: وأنا معك يا أشيع.. إن الحصين لمن أشرارنا، ولو كان من أخيارنا ما ترك دين آبائه وذهب إلى غيره.

الحصين: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت!! وأهل غدر وكذب وفجور.

فنحاص: إنما الكاذب الغادر الفاجر.. أنت يا حصين.. لقد اتبعت محمدا الذى يريد منا أن نعبدة كما تعبد النصارى عيسى بن مريم.

محمدﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله.. أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثنى الله.. ولا أمرنى.

أبو بكر: ويحك يا فنحاص!. اتق الله.. والله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله. وقد جاءكم بالحق.

اليهود: يا محمد.. إنّا نتركك على دينك.. واتركنا على ديننا.

●●● وينصرفون.. ويدخل سلمان الفارسى حاملا سلة كبيرة مليئة بالطعام، ويقف بين يدى النبىﷺ ويقول:

سلمان: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندى للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم.

محمدﷺ: كلوا.

أبو بكر: أين عمر يا حمزة؟

حمزة: إنه ذهب ليشترى خشبتين للناقوس!

سلمان: (هامسا لأبى بكر مشيرا إلى النبى) إنه لم يأكل.

أبو بكر: (لسلمان) إن رسول الله لا يأكل الصدقة.

سلمان: (لنفسه فرحا) هذه واحدة من علامات النبى. إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة.. فهذه هدية أكرمتك بها.

محمدﷺ: باسم الله.

وينكب سلمان على رسول اللهﷺ يقبله ويبكى.

سلمان: (صائحا) اللهم أحمدك.. اللهم أحمدك.

محمدﷺ: ما شأنك ياهذا؟

سلمان: لقد وجدت النبى الذى أُخبْرت به.

محمدﷺ: من أهل أى البلاد أنت؟

سلمان: من فارس يا رسول الله.. وأدعى سلمان. وقد خرجت من بلادى وكنت غلاما حدثا أبغى دين الحق حتى وجدتك آخر الأمر. ولكن الرق يشغلنى عنك.

محمدﷺ: الرق؟!

سلمان: نعم.

محمدﷺ: كاتب يا سلمان!

سلمان: نعم سأكاتب صاحبى اليهودى على نخل أحييه له، إذ لا مال عندى اشترى به نفسى.

محمدﷺ أعينوا أخاكم.

أبو بكر: نعم، نعينك بالنخل، كل رجل بما عنده من فأس، ونمهد الأرض لتغرس فيها..

●● ويقبل سلمان يديد النبى ويخرج، ويقدم عمر بن الخطاب ويقول لأبو بكر.

أبو بكر: أجئت بخشبة الناقوس كى تدعو إلى الصلاة.

عمر: كلا.

أبو بكر: لماذا؟

عمر: يا رسول الله، لقد طاف بى هذه الليلة طائف يهتف لا تجعلوا الناقوس.. بل أذّنوا للصلاة.

صوت بلال: الله أكبر.. اللله أكبر..

عمر: عجبا ما هذا بلال يؤذن؟!

محمدﷺ: (باسما) قد سبقك بذلك الوحى!

صوت بلال: الله أكبر.. اللله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله..


الرسول فى المدينة
على حسن الخربوطلى

●● نستكمل رحلتنا مع رؤية جديدة فى السيرة العطرة.. وكتاب «الرسولﷺ فى المدينة» للدكتور على حسنى الخربوطلى.. وكيف كان موقف اليهود من قيام الدولة العربية الإسلامية؟ وما هو موقف عرب الجاهلية من اليهودية؟

●● لم يقبل العرب فى الجزيرة العربية، فى العصر الجاهلى، على اعتناق اليهودية، رغم أنها عقيدة سماوية.. وذلك لعدة أسباب.

لماذا؟

لم يهتم اليهود، قديما وحديثا، بالتبشير بدينهم، فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار. وفى ذلك يقول «اسرائيل ولفستون» فى كتابه «تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٦٧»:

«الذى يقرأ تاريخ اليهود، يعلم أن الأمة الإسرائيلية لم ترغب فى اعتناق الأمم دينها، وكان نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظورا على اليهود».

● وهل هناك أسباب أخرى؟

■ نعم.. كانت التوراة والتلمود تكلف الإنسان تكاليف صعبة، وتربطه بتقاليد كثيرة لم يألفها، وكان من العسير على العربى أن تقبل نفسه التقيد بأغلال لا تحصى، وهى المطبوعة على حب الإستقلال والحرية.

ولماذا كان سخط العرب على اليهود؟

■ إن سخط العرب على اليهود كان مرجعه إلى احتكار اليهود

لموارد البلاد الاقتصادية.. ويذكر «هاريمان» أن اليهود قد تمكنوا بما كان لهم من مال وخبرة فى جمعه، واستثمار الأموال، من تولى الوظائف التى تسيطر على الشئون الإقتصادية فى الدولة الحميرية العربية فى اليمن. وسيطروا أيضا على الملوك وجعلوهم يعتنقون اليهودية.

● ولهذا اشتد كره عرب اليمن لليهود؟

■ نعم، لقد كان العرب، وخاصة فى اليمن، ينظرون إلى اليهود أيضا باعتبارهم عملاء للنفوذ الفارسى الأجنبى. وأن إنتشار اليهودية يعنى اتساع النفوذ الفارسى فى بلاد العرب. كما أن اليهود قد تكرر نقضهم للعهود، وتكررت خيانتهم وغدرهم، إلى جانب التجائهم إلى أساليب ملتوية فى معاملتهم المادية والاقتصادية.

● ● ● بعد الهجرة، أصبحت المدينة دار إسلام وسلام، وحرص الرسولﷺ على وضع أسس وطيدة للمجتمع الجديد فى المدينة. فكيف كان موقف اليهود من الرسول الكريم؟

لقد شن اليهود وحلفاؤهم من المنافقين حرب الجدل. فقد أراد هؤلاء اليهود غزو العقول والنفوس، وإثارة الشكوك والظنون، وتكذيب الرسول علية الصلاة والسلام.

● كيف؟

روى ابن هشام (جـ ٢ ص ١٨٦) كثيرا من الروايات تصور حرب الجدل التى شنها اليهود على الرسول الكريم والمسلمين. تذكر بعض هذه الروايات.

فقد كان اليهود يقولون: إنما مدّت الدنيا سبعةآلاف سنة، وإنما يعذّب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب.

فقال الله عز وجل فى هؤلاء اليهود:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم .. وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة، فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة ٨٠ ـ ٨١)

● وماذا روى ابن هشام عن اليهود أيضا؟.

■ روى ابن هشام أن نفرا من أحبار اليهود قدموا على الرسولﷺ فقالوا:

يهود: يا محمد، اخبرنا عن أربع نسألك عنهن، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك، وآمنا بك.

محمدﷺ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه،لئن أنا أخبرتكم بذلك، لتصدقنني؟

يهود: نعم.

محمدﷺ: اسألوا عما بدا لكم؟

يهود: أخبرنا كيف يشبه الولد أمه، وإنما النطفة من الرجل؟

محمدﷺ أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى أسرائيل، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيتها علت صاحبتها كان لها الشبه.

يهود: اللهم نعم.

- واستمر أحبار اليهود فى هذا الجدل العلمى، فتوجهوا بسؤال آخر إلى الرسول.

يهود: أخبرنا.. كيف نومك؟

محمدﷺ: أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى اسرائيل، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان؟

يهود: نعم.

محمدﷺ: فكذلك نومى، تنام عينى، وقلبى يقظان!!

وواصل اليهود جدلهم وأسئلتهم فقالوا:

يهود: أخبرنا عمّا حرّم اسرائيل على نفسه.

محمدﷺ: أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى أسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه البان الإبل ولحومها، وأنه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها.

يهود: اللهم نعم

- وتوجه أحبار اليهود إلى الرسول الكريم بالسؤال الأخير.

يهود: اخبرنا عن الروح؟

محمدﷺ: ويقول محمدﷺ: أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى أسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذى يأتينى؟

يهود: اللهم نعم.. ولكنه يا محمد لنا عدو، وهو ملك إنما يأتى بالشر ولولا ذلك لا تبعناك.

وهكذا لم يكن أحبار اليهود صادقين فى جدلهم، ولم يكن ينتوون الإيمان فقلوبهم عامرة بالضلال والعدوان، ولذا أنزل الله تعالى فيهم:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله، مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين، (إلى قوله تعالى) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْكِ سليمان. وماكفر سليمانُ ولكن الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر﴾. (البقرة آيات ٩٩ ومابعدها)

صدق الله العظيم

● ● ● وعندما أخفقت حرب الجدل التى أثارها اليهود، أعلنوا بعد ذلك حربا أخرى، هى حرب الدسيسة والوقيعة بين صفوف المسلمين، بين المهاجرين والأنصار.

واستطاع الدكتور على حسنى الخربوطلى أن يلقى كثيرا من الأضواء على عدة جوانب من حياة الرسول عند بنائة للدولة الإسلامية، وجمع شمل المسلمين.

وكذلك موقف الرسول الكريم.. من إجلاء القبائل اليهودية عن المدينة، حتى يتفرغ لملاقاة جيوش قريش.

وكانت دراسة «الرسولﷺ فى المدينة» من الدراسات العلمية القيمة التى كشفت الكثير من جوانب حياة الرسول.. ومعالجته للمواقف التى تعترض المسيرة الإسلامية.

وتناول عدة موضوعات هامة.. مثل تحقيق عالمية الدين

الإسلامى.. وأن الرسول محمدﷺ بعث إلى العالمين وموقفه من الملوك والأمراء. وموقفه من الدولة الرومانية وموقف الامبراطور هرقل من الإسلام، وموقف الرسول من الدولة الفارسية، ومن دولة الحبشة.

●●●

أجتمع عدد كبير من المسلمين عند مساكن النبى، وقد دار حوار بين أحد الأنصار وأحد المهاجرين.

الأنصارى: ما الخبر؟

المهاجر: رسول الله يتزوج بعائشة.

الأنصارى: بنت أبى بكر؟

المهاجر: نعم.. ولقد خطبها يوم كان بمكة.

الأنصارى: على الخير والبركة.

المهاجر: وعلى خير.

الأنصارى: أهى بكر؟

المهاجر: نعم.. بكر صغير.

الأنصارى: لقد شاء الله أن يتزوج رسوله خديجة وهى ثيب فى الأربعين، وأن يتزوج اليوم عائشة.. وهي بكر صغيرة.

●●

بجوار المسجد اجتمع نفر من المهاجرين بينهم عمر وأبو بكر.. يتحادثون. وقال عمر لأبى بكر.

عمر: أما ترى هذا يا أبا بكر؟

أبو بكر: نعم، والله إنى لأرى ما ترى، إن أهل المدينة ليحق لهم أن يبرموا بنا.

عمر: إنّا معشر المهاجرين قد لبثنا فيهم نيفا وثمانية عشر شهرا، نأكل من أموالهم.

أبو بكر: لقد تركنا أموالنا بمكة مع من تركنا من أهلنا.

عمر: وما عاقبة الأمر.. إنى أخشى أن لا يصبر الأنصار على هذا الحال أكثر مما صبروا؟ ألا ترى لنا رأيا؟

أبو بكر: إن بلال قد أقبل مهرولا.

بلال: أما سمعتم؟

أبو بكر: ماذا؟

بلال: أبو سفيان بن حرب مقبل من الشام فى عير عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم. ما رأيك يا عمر؟

عمر: وكم فيها من رجال.

بلال: ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون.

عمر: قد بدا لى رأى.

أبو بكر: قل يا عمر.

عمر: إنى أرى يا أبا بكر.. أن تعرض لهذا المال. لقد أخرجتنا قريش من ديارنا، وجردتنا من أهلنا ومالنا. فإن نصب هذه العير فهى بعض حقنا، ومال بمال.

أبو بكر: ألا نستأذن رسول الله.

عمر: بلى، قم إلى رسول الله فكلمة.

ـ وينهض أبو بكر، ويذهب من فوره إلى رسول الله.

بلال: عسى أن يأذن رسول الله!

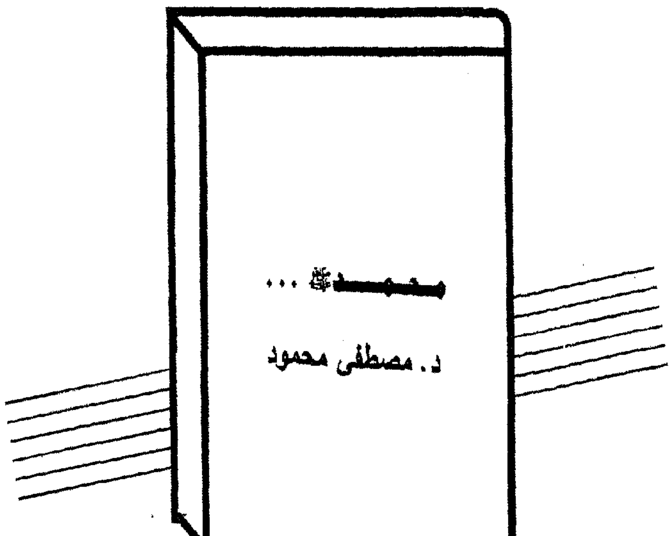
عمر: إن شاء الله يا بلال.. فإنه يأذن. إنّا معشر المهاجرين لا نرضى أن يحتملنا الأنصار على كواهلم أكثر مما احتموا. فلقد أدّوا لنا ما عليهم، وآن لنا أن نفق مما يعطينا الله.

بلال: رسول الله وأبو بكر قادمان!

عمر: والله إني لأرى في وجه رسول الله إنه قد سبقنا إلى هذا الرأى.

أبو بكر: يا معشر المسلمين.. يا معشر المسلمين.. رسول الله يتحدث إليكم.

محمدﷺ: هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها.. لعل الله أن يغنموكموها.


محمد ﷺ ...
د. مصطفى محمود

كل شيء في الوجود يشدو

يا محمد

وينادى فى حنان

يا محمد

أنت فى الشرق بقاء وخلود

أنت فى الكون وجود للوجود

يا حبيب الرحمن والإنسان والفجر الجديد

●●● والإنسان فى هذه الحياة الصحراوية.. كالتائه.. فى حاجة إلى من يروى عطشه.. ولا نبع له فى هذا الوجود ليرتوى منه إلا نبع الحب.. القرآن الكريم.. ومحمدﷺ.. يا حبيبى يا رسول الله.

●●● ونستمر فى رحلتنا لنرتشف من نبع الحب.. محمدﷺ مع كتاب محمدﷺ.. للدكتور مصطفى محمود. وسوف نمضى نتصفح كتب السيرة.. وسوف نرى دونما حاجة إلى التدليل بالخوارق أننا أمام رجل كان أكثر من مجرد رجل عظيم.

هذا الرجل الفطرى الأمى البدوى البسيط الذى يسعى بين الناس بلا تكلف.. يتكلم فى تلقائية لا يتصنع علما، ولا يتلو من كتاب ولا يتدارس مذهبا، ولا يأخذ بأى سبب من أسباب العظمة الدنيوية.. لا جاه.. ولا لقب.. ولا شهادة جامعية ولا ميراث مادى.

أى خلط نقع فيه حينما تخلط بين هذا الرجل وبين المفكرين أصحاب المذاهب والدارسين، والمتكلفين والعاكفين على الكتب والمتخصصين من حملة الدبلومات والمهيجين السياسين أصحاب الأغراض، والماكرين العظام الذين قلبوا الدنيا، وخطفوا أضواء التاريخ لفترة من الزمان. ها هنا شىء مختلف تماما.

ومن حكمة التدبير الإلهى أن يختار الله لرسالته هذه الفطرة البسيطة، ليلقى إليها بكلماته حتى لاتتهم، بأنها كانت تأتى بتلك الكلمات إجتهادا.

وإننا إذ نمضى فى كتب السيرة نتتبع هذه الذات المحمدية فى فعلها وانفعالها، وفى أثرها البعيد المستمر فى هذا الواقع البدوى الفظ من حولها.. فقد أيقظت فى نفس الإنسان نوازع الخير، وفجّرت فيه ينابيع المحبة.

كيف كان عمر بن الخطاب، وكيف أصبح بعد تلك اللمسة الإلهية. ذلك الرجل الغليظ الطبع، الحاد السريع الغضب، وأشد رجال قريش إيذاءً للمسلمين لنتأمل تلك المشاهد..

●●● فى طريق من طرق مكة ليلا، نعيم بن عبد الله وعمر بن الخطاب يتقابلان ويتحاوران:

نعيم: أين تريد يا عمر؟

عمر: أريد جلسائى فلا أجدهم.. ولقد جئت اسحق الخمّار لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها، فلم أجده.

نعيم: لقد مضى عهد الخمر.. «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»

عمر: هذا كلام محمد، وفعْل محمد، هذا الصابىء الذى فرّق أمر قريش، وعاب دينها، وسفّه أحلامها، وشتت مجالسها، وضيّع بهارجها. وشرّد شعراءها.

نعيم: نعم كلامه.. ونعمْ فعله.

عمر: إنك اتبعته يا نعيم!

نعيم: نعم.

عمر: (يلطمه) خذ هذه (اللطمة) قبحك الله.. والله لأقتلن محمدا بسيفي هذا.

نعيم: والله يا عمر.. لقد غرّتك نفسك.. أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا.. أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم!

عمر: أى أهل بيتى؟

نعيم: أختك فاطمة، وزوجها سعيد بن زيد، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه!!

عمر: أهل بيتى؟!.. أهل بيتى.

● ● ويتركه، ويسرع الخطا إلى بيت أخته وفى دار فاطمة أخت عمر بن الخطاب. فاطمة وزوجها سعيد، ومعهما (خباب) وهو أحد المؤمنين يقرأ عليهما القرآن الكريم..

سعيد: صه ياخباب!.. هذا صوت عمر!!

خباب: (مرتاعا) أخشى أن يكون قد سمع ما أقرأ.

فاطمة: هات الصحيفة واختبىء فى المخدع!

عمر: (يدخل) ماهذه الهينمة التى سمعت؟

سعيد: ما سمعت شيئا.

عمر: بلى.. لقد علمتُ أنك تابعت محمدا على دينه.. أيها الخاسر. (يضرب سعيدا)

فاطمة: كفّ عنه يا عمر!

عمر: وأنت أيضا (يضرب أخته)

فاطمة: أى.. أتضرب أختك يا عمر.. أى.. الدم.. الدم،، ينزف من وجهى.

عمر: اذن لقد أتبعت محمدا

فاطمة: نعم.

سعيد: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما شئت!

عمر: ما هذه الصحيفة التى بيدك.. أكنتما تقرآن هذه الصحيفة.

فاطمة: نعم!

عمر: اعطينى اقرأ.. وانظر ما هذا الذى جاء به محمد؟

فاطمة: إنّا نخشاك عليها.

عمر: لا تخافى، واللات والعزىّ.. لأردّها إليك إذا قرأتها.

فاطمة: إنك نجس على شركك.. وإنه لا يمسنها إلا الطاهر فاغتسل!

عمر: أفعل.

●●● وذهب عمر إلى مكان فى البيت واغتسل.

سعيد: (هامسا) إنك تطمعين فى إسلامه!

فاطمة: أرجو أن يهديه الله إليه.

خباب: ألا تتركانى أخرج إلى الطريق.

فاطمة: صبرا حتى ننتظر ما يكون من أمر عمر، فلو أخرجناك الآن، لا نأمن أن يشعر بخروجك فيبطش بك.

سعيد: صه!!.. لقد عاد.

عمر: (يعود) هات الصحيفة!.

فاطمة: أتطهرت.

عمر: نعم.

فاطمة: خذ.. هذه هى الصحيفة!.

ويقرأ عمر: ﴿طه.. ما أنزلنا عليك القرآن لِتَشْقَى.. إلاّ تَذْكِرَةً لمنْ يخشى.. تنزيلاً ممّنْ خلقَ الأرضَ والسموات العُلى.. الرحمن على العرش استوى.. لهُ ما فى السموات وما فى الأَرض، وما بينهما، وما تحت الثَّرى﴾

●●● ويتسلل النور إلى قلبه حتى أعمق الأعماق. ويغمغم وعيناه تدمعان.

عمر: (كالمخاطب نفسه) ما أحسن هذا الكلام.. وأكرمه!

خباب: يا عمر!.. والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس.. وهو يقول: اللهم أيِّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب.

عمر: ماذا تقول يا خباب؟

خباب: الصدق.. الله، الله يا عمر!

عمر: نعم، دلّنى يا خباب على محمد حتى آتيه.. فأسلم!

خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه.

عمر: هيا بنا.

● ● ● فى بيت الصفا، محمد بين أصحابه، أبو بكر، وحمزة، وعلى، وبعض المسلمين. وسمعوا دقّات على الباب.

أبو بكر: (فى صمت خافت) من الذى يضرب علينا الباب!

حمزة: فليذهب أحدنا ينظر من ثقب الباب!

● يذهب على بن أبى طالب فينظر ثم يعود فزعا.

على: يا رسول الله.. هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه.

أبو بكر: اللهم أكفنا عمر.

● ويفكر محمدﷺ.. ويقول.. عمر؟؟

حمزة: أئذن له يا رسول الله فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه.

ويقول محمد: أذنت.

● ● ● ويذهب على وخلفه رجال من الأصحاب يفتحون الباب لعمر، فيدخل عمر ويقف فى المكان دهشا واجما ينظر فى القوم.

وينهض الرسول الكريم حتى يلقاه فيأخذ بمجمع ردائه، ثم يشده بقوة، ويقول له: ماجاء بك يا ابن الخطاب!.. فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة!

عمر: يا رسول الله!. جئتك لأؤمن بالله ورسوله.. وبما جاء من عند الله.

محمد: الله أكبر..! الله أكبر..! الله أكبر!

أبو بكر: (فى فرح) إن عمر قد أسلم.

حمزة: (فى فرح) قد أسلم عمر!

على: إن عمر قد أسلم!.. لقد نصرنا الله بإسلام عمر.. مع إسلام عمى حمزة!..

محمد: الحمد لله.. قد هداك الله يا عمر.. ادعو الله لك بالثبات!!

●●● وما حدث لعمر بعد تلك اللمسة التى حوّلته، وأصبح يعرفه التاريخ بما لا يحتاج إلى بيان.

تلك اللمسة السحرية التى تشق البحر، وتحيل العصا ثعبانا، وتشفى الأبرص، وتحيى موات النفوس، وتبدّل الحال غير الحال. وقد أتى الله نبيه تلك القدرة المذهلة على تغيير الرجال، وصهر معادن النفوس، وإعادة سبكها فى أحلى الصور..

ولهذا أحبه الصحابة، وافتدوه بالمهج والأرواح، فقد رأوا نفوسهم بين يديه، وكأنهم كانوا عدماً فأحياهم.

●●● ونستمر فى رحلتنا لنرتشف من نبع الحب محمدﷺ.. مع كتاب محمدﷺ للدكتور مصطفى محمود.. وفى الفصل الذى كان بعنوان «محمد صانع الرجال».. يقول الكاتب.

أكاد أتخيلهﷺ من الأوصاف التى وصلتنا فى كتب السيرة.. وسطا فى الطول.. ربعة.. ضخم الرأس.. واسع الجبين.. مدوّر الوجه.. أزهر اللون.. واسع العينين.. طويل الأهداب.. شديد سواد الحدقة.. مفلج الأسنان.. غزير اللحية.. بين حاجبيه اتصال خفيف.. عريض الصدر.. كبير الكفين والقدمين.

وتقول عائشة.. لم يمتلىء جوف النبىﷺ شبعا قط، وكان يطوى أكثر أيامه صائما، وكنت أقول له: نفسى لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول لى: يا عائشة.. ما لى وللدنيا إخوانى أولو العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم. فأجدنى أستحى إن ترفّهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم، وما فى شىء هو أحب إلى من اللحاق بإخوانى وأخلائى.

ولهذا كان يربى نفسه ويروّضها على الفقر، والجوع، والقصد فى المطالب والرغبات، ليكون المثل، والقدوة لما أراده الإسلام.. دين الإعتدال والتوسط.. فلا رهبانية، ولا قتل للنفس.. ولا تهالك وإطلاق للشهوات.. وإنما توسط واعتدال.

وبذلك ينجو الإنسان من سيطرة نفسه، ومن سيطرة الآخرين فلا يعود لأحد سيادة عليه.. وهذه هى الحرية..

أن يحرر نفسه من جميع المطالب فلا يعود يسمح لشهوته أن تذلّه لمطعم أو ملبس، أو مخلوق. هذا الوسط.. هذا الصراط المستقيم الدقيق أدق من الشعرة بين الإفراط والتفريط.. هو ما انفردت به الشريعة وما حققه النبى بسلوكه النادر.

وكان دائما ذلك الرجل البسيط المتواضع.. تراه فى بيته يغسل ثوبه، ويرقّع بردته، ويحلب شاته، ويخصف نعله.. وتراه يأكل مع الخادم، ويعود المريض، ويعطى المحتاج، وتراه وقد احتمل حفدته على كتفيه وراح يصلى.

●●● وكان الرسول الكريمﷺ الحنان والحبٌ مجسداً. أحب الإنسان والحيوان حتى النبات.. حنا عليه فكان يوصى بالشجر ألا يقطع.. حتى الجماد شمله بحبه فكان يقول عن جبل أُحد.. هذا الجبل يحبنا ونحبه.

وتروى السيرة أنه لما كُسرت رباعيته، وشُج رأسه يوم أُحد شق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم.. فقال الرسول الكريمﷺ.. إنى لم أُبعثْ لعَّاناً. ولكنى بُعثْت داعيا ورحمة.. اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون. وكان الرسول الكريمﷺ يلخص فيقول: المعرفة رأس مالى، والعقل أصل دينى، والحب مذهبى، والشوق مركبى، وذكر الله أنيسى، والحزن رفيقى، والصبر ردائى، والصدق شفيعى، والعلم سلاحى، والجهاد خلقى، وقُرّة عينى فى الصلاة. ذلك هو محمدﷺ.. النبى الأُمّى.. والشريف الذى قال عنه رب العالمين.. ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾!!

●●● وهذه قصة يوم الرجيع.. تحكى طرفا من حب أصحاب محمدﷺ له.. يفتدونه بالمهج والأرواح. وقد رأوْا نفوسهم تُولدَ بين يديه وكأنهم كانوا عدماً فأحياهم. وحدثت هذه القصة بعد انكسار المسلمين فى أُحد، وقد حرّك هذا الإنكسار شماتة الشامتين، وأيقظ الأضغان النائمة. فجاء رهط من العرب يقولون لمحمد:

● إن بين عشائرنا من يريد أن يسلم، فابعث معنا نفرا من أصحابك يعلموننا شرائع الإسلام ويقرئوننا القرآن.

فأرسل الرسول الكريم معهم ستة من كبار الصحابة.

فلما ابتعد الركب وبلغ ماء لهذيل بناحية تدعى الرجيع انقلبت العرب، وغدروا بأصحاب محمد.

وأخذ المسلمين أسيافهم ليدافعوا عن أنفسهم.. وقال كبير رهط هذيل لهم:

●●● إنّا والله ما نريد قتلكم، ولكنّا نريد أن نبيعكم فى مكة.

ـ لا.. والله.. إن الموت لأهون.

وقاتل المسلمون فقتل منهم ثلاثة، ورجم العرب المسلم الرابع حتى الموت.

وأخذوا الأثنين الباقيين أسيرين مكبلين بالسلاسل إلى مكة. وهناك باعوهما رقيقا.

فكان زيد بن الدثنة من نصيب صفوان بن أمية الذى اشتراه ليقتله ثأرا لأبيه أمية بن خلف ـ الذى قتله المسلمون فى بدر ـ فدفع به إلى مولاه نسطاس ليقتله، فلما قدم للموت سأله أبو سفيان.

أبو سفيان: يا زيد.. أتحب أن محمدا الآن عندنا فى مكانك تُضرب عنقه وأنت فى أهلك؟

زيد: والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى.

أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدا.. أقتلوه.

● أما الأسير الثانى «خبيب» فحبسوه، ثم خرجوا به ليصلبوه فقال لهم:

خبيب: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا.

ـ دعُوه.

خبيب: أما والله لولا أن تظنوا أنّى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة.

ورفعوه إلى خشبة، فلما أوثقوه نظر إليهم بعين تقدح شرا، وصاح بهم مغضبا:

خبيب: اللهم احصهم عددا، واقتلهم بدداً.. ولا تغادر منهم أحدا.

ـ فأخذتهم الرجفة من صيحته. وكان فى إمكان الأسيرين أن يفتدوا حياتهم بالإرتداء عن الإسلام. ولكنه الإيمان، واليقين والحب للدين، وصاحبه، ولوجه الله الذى تهون فى سبيله الدنيا بما فيها.

● ● ● وكان بيت النبى ﷺ فى المدينة من جريد يمسكه الطين. وكانت بعض حجراته من حجارة مرصوصة، وكانت جميعا مسقوفة بالجريد.. أما سريره فخشبات مشدودة بالليف عليها حشية ليف. وهذا جهاز فاطمة بنت النبى تصفه السيرة بأنه رحاءان وسقاءان ووسادة من ليف وبعض العطر والطيب.

وترى السيرة أن زوج فاطمة على بن أبى طالب لم يستطع أن يستأجر لها خادما لفقره، فكان يساعدها فى أعمال البيت. وتراهما يسألان النبى أن يمنحهما خادما وقد عاد من إحدى غزواته بسبى وغنائم. فيجيب النبى ﷺ.

● ● ● يقول النبى ﷺ.. لا والله لا أعطيكما وأدع الفقراء من المسلمين تتلوى بطونهم لا يجدون ما يأكلون.

ثم ما يلبث أن يقبل عليهما فى الليل، وقد انكمشا فى غطائهما يرتجفان من البرد، إذا غطيا رأسيهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما أنكشفت رأساهما. فيقومان للقائه فيهمس فى حنان.

ويقول النبى.. مكانكما.. ألا أخبركما بخير مما سألتمانى..

ـ نعم يا رسول الله.

ويقول النبى.. كلمات علمنيهن جبريل.. تسبيحات فى عقب كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا.. وإذا أو يتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثا وثلاثين، وتحمدان ثلاثا وثلاثين، وتكبران ثلاثا وثلاثين.

ويقول الإمام على.. فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن ذلك هو عطاء الأنبياء!!!


نساء النبي
د. عائشة عبد الرحمن

●● يا حبيب الرحمن.. وشفيعنا يوم القيامة والفرقان.. يا قدوة لكل البشر أجمعين.

وصدق من قال: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أُسوةٌ حسنة﴾

يا حـبـيـبـى يا رسـول الله.. والإنـسـان فى هذه الحـيـاة الصحراوية كالتائه فى حاجة إلى من يروى عطشه،

ولانبع له هذا الوجود ليرتوى منه..

إلا نبع الحب.

القرآن الكريم.. ومحمدﷺ..

يا يتيما ضم للصدر إليه كل أبناء الحياة

يا مُعزًا للحيارى، يا مُذِلاً للطغاة

يا مـحـيلا كل صـحـراء على الأرض. وفى النفس بـساتين حياة

يا محيطا دورة الأرض، برايات الدعاة..

يا محمد.. يا محمد.. يا محمد..

●● نواصل معا.. رحلتنا مع الرؤى الجديدة فى السيرة العطرة.. مع الكتاب والمفكرين.. والأدباء والباحثين فى أنحاء العالم.. عن خاتم الأنبياء والمرسلين.. سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكي السلام.

ورحلتنا مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) وكتابها «نساء النبى». فماذا كانت تريد الدكتورة عائشة عبد الرحمن من كتابها الهام، وماهى الرؤية الجديدة التى كشفت عنها فى هذه الدراسة الممتعة. ويتكشف لنا ذلك فى ذلك الحوار الذى دار بينها.

● د. بنت الشاطىء.. ما هى رؤيتك فى هذه الدراسة؟

■ بنت الشاطىء: هذه الدراسة عن حياة محمدﷺ فى بيته.. أعرض فيها صورا متتابعة للسيدات الكريمات اللواتى أظلّهن هذا البيت، وكان لكل منهن أثرها فى حياة زوجهن المصطفى، ومكانها فى تاريخ القائد العظيم الذى وجه مسار التاريخ.

● وماهى مصادر مراجعك فى هذه الدراسة؟

■ بنت الشاطىء: لقد قرأت ما فى مكتبتنا الإسلامية من مؤلفات، تناولت هذا الجانب من حياة المصطفىﷺ، حياة أزواجه أمهات المؤمنين.. مبتدئة بالقرأن الكريم، والحديث، والسيرة النبوية،

والتفسير، ثم كتب التراجم والتاريخ، وضممت إليها ما وصل إلى يدى مما كتبه المستشرقون ولكن..

● ولكن.. ماذا؟

■ بنت الشاطىء: ولكن حين بدأت اكتب.. اعترف بأنى شعرتُ بتهيّب، وهممت معه بالتراجع عن الكتابة فى هذا الموضوع.

● لماذا؟

■ بنت الشاطىء: ذلك.. لما ملأنى من إحساس بجلاله، ودقّته من ناحية، ولكثرة ما كُتب فيه.

● ولكن رؤيتك.. هى التى تهم الناس؟

■ بنت الشاطىء: إن هؤلاء السيدات اللواتى عشن فى بيت النبى، ينزعن جميعا إلى حواء وقد جئن إلى بيت تلاقت فيه البشرية بالنبوة واتصلت الأرض بالسماء. وتزوجن من بشر يتلقى الوحى من أعلى، ويبلغ رسالة الله. فأنّى لقلم أن يصوّر حياة كهذه، تموج فيها أهواء البشرية، وتتجاذب فيها الأنوثة التى نعرف رقتها وضعفها ورهافة وجدانها.

● ولكن هذه التيارات المختلفة.. ألا تغريك بالدرس والتأمل؟

■ بنت الشاطىء: إنها تياراتٌ بالغة القوة والعمق، يجذبها بعضها إلى هذه الأرض الدنيا، وتشدها أخرى إلى السماوات العلا، وتتعادل من هذا بشرية سماوية، وسماوية إنسانية. ولهذا فقد رأيتها حياة حافلة تغرى بالدرس والتأمل، وتجربة نادرة فذة ليس من السهل أن أنصرف عنها بعد أن أتجهت إليها.

● إذن.. ماذا كان منهجك فى الدراسة؟

■ بنت الشاطىء: لم أشأ لهذه الدراسة أن تجمع شتىّ المرويات عن نساء النبى جمعاً كماً، ولا أردت أن أجعل منها مجموعة من تراجمهن على النحو التقليدى المألوف فى تراجم الأشخاص، وإنما ركّزت كل اهتمامى على حياة كل منهن فى البيت النبوى ومكانها منه، وتصوير شخصيتها تصويرا يجلوها.. زوجاً وأنثى. وحسبى أن أقدم من ملامح شخصيتها الأصيلة، ما قد يضىء تاريخها كله.

●●

● إن الفصل بين شخصية محمدﷺ زوجا رجلا، وشخصيته نبيا رسولا، جد عسير. هو بشر رسول، وهذا موضع الدقة والعسر فى الحديث عن حياته العاطفية والزوجية، وأنه كان النبى المصطفى، وأن كلمة الإسلام الأولى هى الشهادة بأن لا إله إلا الله، وأن محمدا نبيه ورسوله.

ويزيد فى دقة الأمر وعسره، أن ترى الشخصيتين مندمجتين فى المصطفىﷺ غير منفصلتين، وأن الله سبحانه وتعالى لم يدع لرسوله حياته الخاصة يتصرف فيها على نحو ما يفعل سائر البشر، وإنما كان عليه السلام يتلقى من حين إلى حين أوامر الله فى أخص الشئون الزوجية، وكانت علاقاته بنسائه تخضع أحيانا لتوجيه صريح من الوحى.

فمحنة الإفك مثلا، لم يحسمها إلا نزول الوحى ببراءةأم المؤمنين «السيدة عائشة» مما افتراه عليها الذين أرجفوا بالسؤ، ورموها بالفاحشة.

وزواجه عليه الصلاة والسلام من «السيدة زينب بنت جحش» ما كان ليتم لولا أن نزل به عتاب صريح من الله الذى كره لرسوله أن

يخفى فى نفسه ما الله مبديه، وأن يخشى الناس والله أحق أن يخشاه.

وضيق نساء النبى بما فرض عليهن من حياة خشنة، لم يضع حداً له إلا قوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدُّنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرِّحكن سراحا جميلا، وإن كنتن تردْن الله ورسولَه والدار الآخرة فإن اللهَ أعدَّ للمحسنات منكنَّ أجراً عظيما﴾ (سورة الأحزاب ٢٨ ـ ٢٩)

●●

●● وسلوك نسائهﷺ.. كان يخضع لرقابة مباشرة على نحو غير مألوف فى حياة غيرهن، والله تعالى يقول..

﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا. وقَرْنَ فى بيوتكن ولا تبرجْن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاةَ وآتين الزكاةَ وأطعْن الله ورسوله، إنما يريد اللهُ ليذْهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة، إن الله كان لطيفا خبيرا﴾ (سورة الأحزاب ٣٢ ـ ٣٤)

●● وبعض هذا يكفى لبيان صعوبة الفصل بين شخصية الزوج وشخصية النبى.. فأى رجل كان نبى الإسلام؟ وأى زوج جمع بيته هذا العدد من عقائل كريمات، اختلفت أجناسهن وألوانهن، وتباعدت أصولهن ومنابتهن، وتفاوتت أعمارهن وشخصياتهن؟

ولكم فى رسول الله أُسْوة حسنة..

●●

●● ونستكمل معا مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة.. وكتابنا اليوم «نساء النبى» للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) حيث ألقت الأضواء على بيت النبى، ونسائه. وخاصة خديجة بنت خويلد. والسيدة خديجة.. تنفرد من بين نساء النبى جميعا بأنها وحدها التى عرفته رجلا وعاشرته زوجا قبل أن تحفَّ به أضواء النبوة. وقد تزوجت السيدة خديجة مرتين قبل زواجها بالرسول الكريم. تزوجت رجلين من سادات العرب وأشرافهم عتيق بن عائذ المخزومى، وأبى هالة ابن زرارة التميمى. وقد أنجبت من عتيق بنتا، وأنجبت ولدا من أبى هالة أسمه «هند».

وعندما انتهى عقد زواج محمدﷺ بخديجة، نحرت الذبائح، ودقّت الدفوف، وفتحت دار خديجة للأهل والأصدقاء، فإذا بينهم «حليمة» قد جاءت من بادية بنى سعد، لتشهد عرس ولدها الذى أرضعته، ثم لتعود فى الغداة ومعها أربعون رأسا من الغنم، هبةً من العروس الكريمة لتلك التى أرضعت «محمدا» زوجها الحبيب.

وتندّت عينا «محمد» وهو يفتقد أمه «آمنة» فإذا يد لطيفة رقيقة، تأسو الجرح القديم فى حنان غامر، وإذا به يجد فى «خديجة» عوضا جميلا.. عما قاساه من طويل حرمان.

واستغرقا فى هناءتهما خمسة عشر عاما، ناعميْن بالألفة والاستقرار، وقد أتم الله عليهما نعمته، فرزقهما البنين والبنات: القاسم، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

وقد ذاقا فى تلك الفترة لوعة الثكل فى الولدين العزيزين: القاسم وعبد الله، فكانا للزوجين من حبهما وتصبرهما، ما أعانهما على

تجرع الكأس التى تدور على الناس جميعا فلا يعفى من شربها أحد، وما كان ولداهما إلا وديعة، ولابد يوما أن تسترد الودائع.

ثم كان الحادث الخطير، لا فى حياة هذه الأسرة الوادعة فحسب، ولا فى حياة قريش والعرب وحدهم، بل فى حياة الإنسانية جمعاء. لقد تلقى «محمد» رسالة من الله، وجاءه الوحى، فألقى عليه العبء الثقيل، وبعثه فى الناس بشيرا ونذيرا. وكانت الرسالة إيذانا بحياة جديدة، شاقة كادحة، وبدءاً لعهد ملؤه الاضطهاد والعذاب، والجهاد، ثم النصر.

وعندما جاءه الوحى وهو فى «غار حراء» حتى انطلق يلتمس بيته فى غبش الفجر خائفا شاحبا مرتعد الأوصال. فلما بلغ حجرة زوجه خديجة، أحس أنه قد وصل إلى مأمنه، فحدثها فى صوت مرتجف عن كل ما كان، ونفض لديها مخاوفه أتراه يهذى حالماً؟.. أم به جنة؟

وضمته إلى صدرها، وقد أثار مرآه أعمق عواطف الأمومة فى قلبها وهتفت فى ثقة ويقين.

وتقول خديجة «الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا ابن عم وأثبت، فو الذى نفس خديجة بيده، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة، ولا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقْرِى الضيف، وتعين على نوائب الحق»

وأحس الراحة والطمأنينة وهى تقوده فى رفق إلى فراشة، فتضعه فيه كما تفعل الأم بولدها الغالى. واستراحت عيناها عليه برهة وهو مستغرق فى نومه الهادىء. ورفّ حوله قلبها ملء الحب والعطف والإشفاق والإعجاب.

وذهبت خديجة إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل». لكنه ما كاد يصغى إلى ما تحدثت به حتى اهتز منفعلا، وتدفقت الحيوية فى بدنه الواهن، فانتفض يقول فى حماس:

ورقة: «قُدّوس.. قُدْوس.. والذى نفسُ ورقة بيده، لئن كنت صدقتنى يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وعيسى.. وإنه لنبى هذه الأمة. ولم تنتظر مزيدا من قوله، بل طارت إلى زوجها الحبيب تعجل له بالبشرى. وأخذت مكانها إلى جانبه، ترنو إليه فى حنان ولهفة، وهو مستغرق فى نومه، لا تريد أن توقظه.

ثم إذا به فجأة ينتفض فى فراشة، وتتثاقل أنفاسه، ويتفصد العرق من جبهته.. وظل على ذلك فترة قبل أن تعاوده سكينة وتنتظم أنفاسه. ويبدو عليه كأنما يستعيد درسا ألقى عليه.

﴿يا أيها المدّثّر. قم فأنذرْ. وربَّكَ فكبّرْ. وثيابكَ فطهّر. والرُّجْزَ فاهْجر. ولا تمنن تستكثر. ولربّك فاصبر﴾.(سورة المدثر ١ ـ ٧)

●●●

وتلقفته «خديجة» من صحوه بين ذراعيها، وحدثته بما سمعت من «ورقة بن نوفل»، فرنا محمدﷺ إليها ملياً بنظرة تفيض شكرا وامتنانا، حتى إذا ملأ عينيه من تلك التى ملأت دنياه حباً، وأمناً، وسلاماً. استدار فنظر إلى الفراش وقال فى تأثر: انتهى يا خديجة عهد النوم والراحة، فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلى الله، وإلى عبادته.. فمن ذا أدعو.. ومن يستجيب؟

خديجة: أنا استجيب يا محمد، فادعنى قبل أن تدعو أى إنسان، وإنىّ لمسلمة لك، مصدقة رسالتك، مؤمنة بربك..

وعندما التقى محمدﷺ بورقة بن نوفل.. الذى قال له: والذى نفسي بيده، إنك لنبى هذه الأمة، ولتكذبَنّ، ولتؤذينّ، ولتخرجكنّ، ولتقاتلنّ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصرا يعلمه.

محمدﷺ: أو مُخْرِجىّ هم؟

ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِى، ليتنى اكون حيّاً!

●●●

وطابت نفس المصطفىﷺ بما سمع، فآب إلى بيته مطمئنا ليبدأ جهاده من أجل الدعوة، وليلقى فى سبيلها أفدح الأذى، وأقسى الأضطهاد.

●●●

ويدخل بلال إلى بيت النبى باكيا.

جارية: ويحك يا بلال.. ما بك؟

بلال: قاتلهم الله.

جارية: من هم؟

بلال: اغروا أحد سفائهم فاعترض رسول الله ووضع على رأسه التراب.

جارية: التراب!؟

بلال: نعم.

جارية: قريش؟

بلال: نعم.. هى قريش صنعت هذا.

جارية: اليوم..

بلال: واحـــزناه عليك يا أبا طالب.. من ذا يمنع اليـــوم النبى وينصره؟

جـاريـة: صــه.. ودع البكاء عَنك يا بلال.. حــتى لا تسـمـعك مولاتى.. إنها فى فراشها اليوم تشكو.

بلال: تشكو؟ زوج النبى .. خديجة!!

جارية: صه.. إن النبى قادم.. وفاطمة ذاهبة إليه.

بلال: (همسا) رسول اللهﷺ.

فاطمة: أبى.. أبى.. من صنع بك هذا.

محمدﷺ: هوّنى عليك.. يا بنية!!

فاطمة: أهى قريش؟ (تبكى) أبتاه.

محمدﷺ: لا تبكى يا بنيه.. فإن الله مانع أباك.

فاطمة: أجلس يا أبتاه.. أغسل عنك هذا التراب

●●●

ووقــفت خــديجــة الزوج المحــبــة المؤمنة إلى جــانب النبى المصطفىﷺ، تنصـره، وتشـد أزره، وتعـينه عِلى احــتـمـال أقـسى ضـروب الأذى والأضطهـاد سنين عـددا. ولما قُضى على بنى هاشم وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة لأئذين بشِعب أَبى طالب، بعد أن أعلنت قـريش عليهم حـربا لا ترحم. قامت تتَبع رجلها ونبيها وقد قاربت الخامسة والستين. وعندما تهاوى الحصار. عادت إلى بيتها

فى مكة. ورقدت، وزوجها المصطفى ﷺ إلى جانبها يرعاها ويؤنس وحشة احتضارها.

محمد ﷺ: يا خديجة!.. هذا جبريل، يقرئك السلام من ربك.

خديجة: لله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام!! ما أشق الفراق!

محمد ﷺ: سيكون اللقاء فى الجنة إن شاء الله.

خديجة: إن شاء الله.. إن شاء الله..

محمد ﷺ: خديجة.. خديجة.. خديجة..

ـ ثم أسلمت الروح بين يدى الرجل الذى أحبته مُنذ اليوم الأول الذى لقيته فيه، والذى صدقته، وآمنت به منذ بُعث برسالته، وجاهدت معه حتى الرمق الأخير.


نساء النبي
د. عائشة عبد الرحمن

●● ونستكمل معا رحلتنا مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة. «كتابنا اليوم «نساء النبى للدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء»، حيث ألقت الأضواء على بيت النبى، ونسائه.. وخاصة عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها.

●● فقد محمدﷺ بوفاة خديجة تلك التى كانت أول من علم أمره فصدّقته، تلك التى لم تكف عن إلقاء السكينه فى قلبه.. تلك التى ظلّت ما عاشت تشمله بحب الزوجات وحنان الأمهات. وبلغت أزمة الاضطهاد أقسى مداها فى عام وفاة السيدة «خديجة» الذى سمّى «عام الحزن». وخيّل إلى أعدائه المشركين أن الظلمات تكاثفت حوله، فما عاد يبدو على الأفق شعاع من ضياء. وكذّبتهم امانيهم فظنوا أن الظفر به جد قريب، وما دروْا أن الظلمة تبلغ ذروتها قبيل الفجر.

ذلك أن السيدة خديجة رضى الله عنها لم تمض إلا وجبريل يرعى الرسول غاديا رائحا. يذود عنه اليأس والإعياء. والسابقون الأولون من المؤمنين يحيطون نبيهمﷺ، مستبسلين يفتدونه بالمهج والأرواح، ويروْن الموت فى سبيل الإسلام حياةً ومجداً وانتصاراً.

●●●

الأيام تمضى ثقيلات الخطو، مرهقات بأعباء الدعوة وتكاليف الجهاد.

والليالى كولح مسهدات، مشحونة بالذكريات. ومحمدﷺ فى وحدته بعد خديجة.. أم العيال وربة البيت ووزيره فى الإسلام وشريكته فى الجهاد، يخلو إلى نفسه كلما أجهده ما يلقى فى قومه ليسامر طيف التى ملأت دنياه وقلبه.

والصحابة يرقبون آثار الحزن على نبيهم فيشفقون عليه من تلك الوحدة، ويودّون لو يتزوج، لعل فى الزواج مايؤنس وحشته بعد «أم المؤمنين» الراحلة.

لكن واحدا منهم لم يجرؤ على التحدث إليه إبّان حداده فى موضوع الزواج، فلما انتهت أيام الحداد، كانت «خوْلة بنت حكيم السلمية» هى التى سعت إليه ذات مساء متلطفة مترفقة تقول: يا رسول الله.. كأنى أراك قد نسيت الدنيا لفقد خديجة؟ أجل كانت أم العيال وربة البيت يارسول الله.. ألم يحن الزواج بعد؟

محمدﷺ: (نبرة عتاب): من ... بعد خديجة؟

خولة: عائشة.. بنت أحب الناس اليك.. أبى بكر..

محمدﷺ: لكنها ما تزال صغيرة يا خولة.. لم تتعدّ الثامنة.

خولة: تخطبها اليوم إلى أبيها ثم تنتظر حتى تكبر.

محمدﷺ: حتى تكبر؟

خولة: لقد جئت يا رسول الله وفى خاطرى اثنتان.. إحداهما بكر وهى عائشة بنت أبى بكر، والأخرى ثيّب، وهى «سودة بنت زمعة»، التى هاجرت مع زوجها «السكران بن عمرو بن عبد شمس» إلى الحبشة.. ثم مات فى الغربة. وهى أرملة مسنّة.

وأذن لها الرسول الكريم فى خطبتهما. وجاءت خولة بنت حكيم، إلى (زمعة) فدخلت على ابنته «سودة» تقول:

خولة: ماذا أدخل الله عليك من الخير يا سودة؟

سودة: وماذا يا خولة؟

خولة: أرسلنى رسول الله أخطبك عليه!

سودة: (بصوت مرتجف) وددتُ!.. ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك.

خولة: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلنى أخطب عليه سودة.

الشيخ: كفء كريم، فماذا تقول صاحبته؟

خولة: تحب ذلك.

الشيخ: ادع إلىّ سودة.

خولة: ها قد جاءت..

الشيخ: أى سودة، زعمتْ هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك، وهو كفء كريم.. أفتحبين أن أزوجكه؟

سودة: نعم.

وأشار «زمعة بن قيس» إلى خولة أن تدعو إليه «محمدا». فقامت تدعو للزواج.

●●●

ودخلت خولة بيت أبى بكر فوجدت «أم رومان» أم عائشة، فقالت لها:

خولة: أى أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة!

أم رومان: وماذاك؟

خولة: أرسلنى رسول الله أخطب له عائشة!

أم رومـان: وددت.. انتظرى أبا بكر.. فـإنه آت . وجـاء أبو بكر، فقالت له خولة:

خـولة: يا أبا بكر، مـاذا أدخل الله عليك من الخـيـر والبـركـة!.. أرسلنى رسول الله أخطب عائشة.

أبو بكر: أنتظرينى حتى أرجع.

خولة: ماذا حدث يا أم رومان؟

أم رومـان: إن المطعم بن عـدى كـان قد ذكـر عـائشـة علـى ابنه «جبير» ولا والله ما وعد أبو بكر شيئا قط فأخلف.

•••

ودخل أبو بكر علـى «مطعم» وعنده أمـرأته «أم جـبـيـر» وكـانت كزوجـها مشركـة، وقالت له «يا ابن قـحافة، لعلنا إن زوّجنا ابننا ابنتك أن تصبـئـه، وتدخله في دينك الذى أنت عليـه. وفـرح أبو بكر، وقـد شعـر با رتياح كـبير لما أحلّه الله من وعده، وعـاد إلـى بيتـه، فـقـال لخولة:

أبو بكر: ادعـى رسول الله.

•••

ولم تدهش «مكة» حين أعلن نبـأ المصـاهرة بـين أعـز صـاحـبين وأوفـى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أمرا طبيعيا مألوفا ومـتوقعا. وكـان الرسـول الكريمﷺ فى الثـالثـة والخـمـسين. وفـى السنة الثـانيـة للهجرة، تزوج الرسول الكريمﷺ بعائشة. وكانت عروسا حلوة، خفيفة الجسم، ذات عـينين واسعتين، وشعـر جعد، ووجـه مشـرق، مـشـرب بحمرة وقد انتقلت إلى بيتها الجديد.

وماكان هذا البيت سوى حجرة من الحجرات التى شيدّت حول المسجد. وفى هذا البيت البسيط المتواضع بدأت «عائشة» حياة زوجية حافلة، ستظل حديث التاريخ حتى يومنا هذا وغد بعده. كما بدأت تأخذ مكانها المرموق فى حياة الرسول والإسلام.

وعاشت «السيدة عائشة» لتكون المرجع الأول فى الحديث والسنة، وليأخذ المسلمون عنها نصف دينهم كما أمر رسول اللهﷺ.

عاشت لتصحح رأى الناس فى المرأة العربية المسلمة وتعرض لها صورة أصيلة حية، ستظل تبهر الدنيا ما أدبر ليل أو أقبل نهار.

ثم ماتت فى السادسة والستين من عمرها، وقد شاركت فى حياة الإسلام مشاركة فعالة. وبرّأها القرآن الكريم فى «حديث الإفك» وقد تركت أعمق الآثار فى الحياة الفقهية والإجتماعية والسياسية للمسلمين.

ونامت أخيرا، وخلّفت الدنيا من ورائها ساهرة فيها، والتاريخ مشغولا برصد دقائق حياتها منذ طفولتها، معنياً بتتبع حركاتها وكلماتها طوال الأعوام الستين التى عاشتها ملء الحياة. وفى حجرها مات الحبيب المصطفىﷺ.. شفيعنا يوم القيامة والفرقان يا حبيب الرحمن.

●●●

●●● ونستكمل معا رحلتنا مع الكتّاب والمفكرين والأدباء والباحثين ورؤى جديدة فى السيرة العطرة، وكتابنا اليوم «نساء النبى» للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) حيث ألقت الأضواء على بيت النبىﷺ.. ونسائه وخاصة حفصة بنت عمر بن

الخطاب. تألم عمر ابن الخطاب لابنته الشابة حفصة، التى ترمّلت فى الثامنة عشرة من عمرها. وأوجعه أن يلمح الترمّل يغتال شبابها بعد ان أستشهد زوجها «خنيس بن حذافة القرشى» وكان من أصحاب الهجرتين: هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين إليها، ثم إلى المدينة. وقد شهد «أحداً» كذلك، ومات متأثرا بجراحه.

وبدأ عمر يشعر بانقباض أليم كلما دخل بيته، ورأى ابنته فى حزنها. فقرر أن يختار لها زوجا. ووقع أختياره على «أبى بكر بن قحافة» صفى الرسول الكريم وصهره، وصاحبه الصديق. وعرض عليه أن يتزوجها، لكن «أبا بكر» أمسك لا يجيب..!!

وانصرف عمر واجداً، لا يكاد يصدق أن صاحبه رفض «حفصة». وسارت به قدماه إلى بيت «عثمان بن عفان» وكانت زوجه «السيدة رقية» بنت الرسول قد مرضت بالحصبة بعد عودتها من الحبشة. والمسلمون يلقون عدوهم فى بدر. ثم ماتت بعد أن تم النصر لأبيها والمؤمنين. وكان جواب «عثمان». «ما أريد أن أتزوج اليوم».

••• فكاد «عمر» يتميز غيظا من قسوة الموقف، ثم ثار به الغضب فانطلق إلى رسول اللهﷺ يشكو صاحبيه فتبسم الرسول الكريم وقال لعمر:

محمدﷺ: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة.

وأشرقت فى خاطره لمحة مضيئة: أيتزوج المصطفى من ابنته؟ ذاك والله شرف لم تتطاول إليه أمانيه. وخرج مسرعا ليزف إلى أبنته، وإلى أبى بكر وعثمان، وإلى المدينة كلها، بشرى الخطبة

المباركة. وكان أبو بكر أول من لقيه، فمد يده مهنئا معتذرا يقول:

أبو بكر: لا تغضب مني يا عمر، فإن رسول اللهﷺ قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سرٍ رسول اللهﷺ، ولو تركها لتزوجتها.

وباركت المدينة يد المصطفىﷺ وهى تمتد لتكرم عمر بن الخطاب، وتأسو جراح ابنته حفصه وقد تزوجها المصطفى فى السنة الثالثة للهجرة، فى شهر شعبان.

●●● وذات يوم سمع عمر من زوجه أن ابنته حفصه تراجع الرسول الكريم حتى يظل يومه غضبان، أنطلق من فوره حتى دخل عليها.

عمر: هل حقيقة أنك تراجعين الرسول حتى يظل يومه غضبان.

حفصه: نعم.

عمر: (غاضبا) كيف!.. تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله. يابنية، لا يغرنّك التى أعجبها حسنها وحب رسول اللهﷺ لها، والله لقد علمت أن الرسول لا يحبك، ولولا أنا لطلقك!.

حفصة: (تبكى).

●●● ويرخى لهما الزوج المصطفىﷺ (لعائشة وحفصة) ما استطاع، ويشفع لهما عنده أنوثة ضعيفة تستثير رحمته، وبنوتهما لأعز صاحبين. وذات يوم طلب الرسول الكريمﷺ من «حفصة» أن تكتم أمرا، ولا تتحدث بهذا الأمر لأحد، ولكن «حفصة» لم تستطع فى اليوم التالى أن تكتم هذا الأمر الخطير فأسرتْ به إلى عائشة. ولم تقدر «حفصة» وهى تذيع السر، أنها بسبيل إشعال نار فى البيت النبوى. وعندما علم الرسول الكريم بذلك، اعتزل نساءه مدى شهر من الزمان. شاع فيه أنهﷺ قد طلّقّ أزواجه. ونزلت آيات التحريم (من ١ - ٥).

﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. يا أيها النبى لمَ تُحرّم ما أحلّ الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم. قد فرض الله لكم تَحلةَ أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم. وإذا أسَرَّ النبىُّ إلى بعض أزواجه حديثا. فلما نبأت به وأظهره الله عليه. عرّف بعضه وأعرض عن بعض. فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا. قال نَبأنى العليم الخبير. إن تتوبا إلى الله فقد صَغَتْ قلوبكما. وإن تظاهرا عليه فإن اللهَ هو مولاه وجبريلُ وصالحُ المؤمنين. والملائكةُ بعد ذلك ظهير. عسى ربُّه إن طلقكن أن يُبْدله أزواجا خيرا منكن. مسلمات مؤمنات تائبات عابداتٍ سائحات ثيبّاتٍ وأبكارا﴾

صدق الله العظيم

● ● ● ووعتْ نساء النبى هذا الدرس، وثابَتْ «حفصة» إلى طمأنينتها وقد كادت تهلك أسى وندماً.

ولما أنتقل الرسول الكريمﷺ إلى جوار ربه الأعلى، كانت «حفصة» هى التى اختيرت من بين أمّهات المؤمنين جميعا ـ وفيهن عائشة ـ لتحفظ النسخة الخطية للقرآن الكريم.

ذلك أن«عمر» أشار على «أبى بكر» أول الخلفاء الراشدين، أن يبادر فيجمع ما تفرق من القرآن الكريم فى صحف شتىّ، قبل أن يبتعد العهدُ بنزوله، ويمضى حفظته الأولون.

فاستجاب «أبو بكر» وجمع المصحف الكريم وأودعه أم المؤمنين «حفصة بنت عمر». وبقى المصحف لديها فى مأمن، حتى أخذه أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» فى خلافته. فنسخ منه النسخ

الأربع التى وزّعت على الأمصار. وتفرّغتْ «حفصة» من بعد ذلك للعبادة. فعاشت رضى الله عنها صوامة قوّامة. حتى ماتت.. ودفنت فى البقيع.. فى مقبرة أمهات المؤمنين.

●●● وخلّدت فى التاريخ.. أم المؤمنين الحافظة لأول نسخة من المصحف الشريف، كتاب الإسلام.. ومعجزة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.


زوجات الرسول
أصلان عبد السلام

كل شيء في هذا الوجود يشدو

يا محمد

وينادي في حنان

يا محمد

أنت في الشرق بقاء وخلود

أنت في الكون وجود للوجود

يا حبيب الرحمن..

يا سيد الخلقْ والأنام، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان

يا قدوةً لكل البشر أجمعين، وصدق من قال: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» والإنسان فى هذه الحياة الصحراوية.. كالتائه.. فى حاجة إلى من يروى عطشه.. ولا نبع له فى هذا الوجود ليرتوى منه إلا نبع الحب.. القرآن الكريم.. ومحمدﷺ يا حبيبى يا رسول الله.

ونستكمل معا رحلتنا مع الكتاب والمفكرين والأدباء والباحثين، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة.. وكتابنا اليوم.. زوجات الرسولﷺ وتعدد الزوجات فى الإسلام» من إعداد أصلان عبد السلام حسن. وما هى رؤيته التى تختلف عن رؤية الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) فى كتابها نساء النبى؟

إن كتاب «زوجات الرسولﷺ يتضمن توضيحا مفصلا لقضية زوجات الرسولﷺ، وبعض المعلومات المركزة عن كل زوجة، ومتى، ولماذا تزوجها الرسول الكريم. وتفنيد ما يدعيه المستشرقون وأعداء الإسلام من أباطيل. ثم الحديث عن تعدد الزوجات وحكمته، وأنه خير علاج لأدواء إجتماعية خطيرة.

واستطاع الباحث فى كتابه أن يصور حياة خديجة بنت خويلد، الزوج المحبة المؤمنة إلى جانب زوجها النبى المصطفىﷺ، تنصره، وتشد أزره، وتعينه على إحتمال أقسى ضروب الأذى والإضطهاد سنين عددا.

● ● ● وقد أفرد المؤلف فصلا كاملا عن «تعدد الزوجات.. وحكمته»، وأن هذا التعدد كان معروفا وشائعا فى العالم دون تقيد بعدد. فقد عرف عند قدماء المصريين، والفرس، والأشوريين، والبابليين، والهندوس، كما عرف عند شعوب الصقالبة أو السلافيين التى نسميها الآن روسيا. وظل تعدد الزوجات لدى المسحيين منتشرا حتى منتصف القرن السابع عشر، وهو موجود حتى الآن لدى المسحيين الموارنة فى إحدى الولايات الأمريكية. ويقول جوستاف لوبون إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائى (أى الخليلات) عند الأوروبيين، وما يتبعه من مواكب الأولاد غير الشرعيين.

لقد فعل الرسول الكريم ذلك فى وقت كان التعدد مطلقا لا حد له، ولم يحدد تشريعيا إلا فى السنة الثامنة من الهجرة، بعد أن كان النبىﷺ قد بنى بأزواجه جميعا. وذلك بالآية الثالثة من سورة النساء التى حددت عدد الزوجات بأربع كحد أقصى.

واستطاع المؤلف أن يفنّد كل أكاذيب أعداء الإسلام، الذين يفترون على الإسلام ورسوله الكريمﷺ.. وأن يدحض هذه الأفتراءات بالمنطق، والحجج، ولكن الله سبحانه وتعالى.. خير مدافع عن إسلامه ورسوله.. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلا كبيرا﴾

(سورة الأحزاب ٤٥ ـ ٤٧).

معجزات الرسول

الشيخ متولى الشعراوى

•• يا حبيبى يا رسول الله.. يا خير الأنام.. وخاتم الأنبياء والمرسلين.. محمدﷺ.. يا من بُعثت لتكون نبعا للحب.. يغترف منه البشر أصفى وأنقى ما فى الوجود.. الحب.. فى قمة صورته.

يا من اختارك الله سبحانه وتعالى من جوف الصحراء لحكمة بالغة.. واصطفاك من بيئة الأصنام لتكون هاديا للبشرية جمعاء.

• • ونستكمل معا رحلتنا مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين فى أنحاء العالم، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة عن خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ورحلتنا اليوم مع كتاب «معجزات الرسول» لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فما هى رؤيته فى المعجزة، وتنبؤات المستقبل إعجاز للرسول الكريمﷺ؟. إن الشيخ محمد متولى الشعراوى.. يضع الكثير من الأسئلة الحائرة فى ذهن الإنسان، ويجيب عنها بآيات القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، وتاريخ الرسل، والحضارة الإنسانية. فيقول: «إن وجود الرسول كان ضروريا، لنعرف من الذى خلق الكون، وماذا يريد هذا الخالق منا؟.. ولكن لكي تتم الرسالة لابد للرسول أن يكون من جنس المرسلِ إليهم، لأنه مبلِّغ وأسوة فى تطبيق المنهج، فلابد أن يكون مثل المرسَلْ إليهم والحق سبحانه وتعالى، لا يمكن أن يكون قد خلق هذا الكون عشوائيا، أو بغير هدف. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لَدُنَّا إن كنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء الآيات ١٦ ـ ١٧).

إن الحضارة البشرية لا يمكن أن ترتقى إلا إذا وُضعت لها الأهداف أولا. ويرى الشيخ الشعراوى أن الله تبارك وتعالى قد أوجد

القرآن أولا، ثم أوجد من سيعلمه. وضع المنهج للإنسان، ثم بعد ذلك خلقه ليطبق هذا المنهج في الكون. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾

(سورة النساء ـ ٥٩)

إن الله سبحانه وتعالي قد بعث الرُسل لنفع الإنسان، بأن يدلّوهم على الخالق ليعبدوه، وعلى المنهج الذى يتبعونه ليصلوا إلى النعيم الأبدى فى الآخرة.

ولكى يصدق الناس الرسل، كان لابد للرسول أن يأتى بمعجزة بشيء يثبت لقومه أو للعالم كله أنه مرسل من الله سبحانه وتعالى.

ولكن كيف تأتى المعجزة؟ هل لها قوانين محددة ومهمة وأهدافا وضعها لها الحق تبارك وتعالى؟

فماذا يقول الشيخ الشعراوى عن المعجزة؟

الشعراوى: إن المعجزة مأخوذة من (عَجَزَ) والعجز هو نقص قدرات الإنسان عن فعل يريد أن يفعله، ولكن قوته لا تمكنه من فعله.

● وما الفرق بين كلمة (عَجَزَ) و (أعْجَزَ)؟

الشعراوى: أعجز معناها أن غيره هو الذى جعله عاجزا عن أن يفعل، كأن يجيء شخص ويقيّد يديْ ورجلَيْ إنسان آخر. فيجعله عاجزا عن الدفاع عن نفسه.. إذن هناك فرق بين عجز وأعجز. فالأولى معناها شيء لا تقدر عليه وأنت ممتلك لكل قواك..

● وما الثانية؟

الشعرواى: والثانية هى أن تعجز عن مواجهته لأن قواك قيدتك. والمعجزة هى خرق لقوانين الكون، يؤيد بها الله سبحانه وتعالى رسله.

● وهل هناك فرق بين معجزات الرُسل السابقين.. ومعجزات سيدنا محمدﷺ؟

الشعرواى: إن معجزات الرُسل السابقين.. كانت محدودة بزمن معين، مقصورة على ما نبغ فيه قومهم. لكن معجزات رسولناﷺ.. خاتم المرسلين ـ كرسالته ـ لا تشمل أمته فقط.

● وماذا تشمل؟

الشعرواى: إنها تشمل العالم أجمع، وهى باقية بلا تغيير ولا تبديل إلى يوم القيامة.

● ● وهكذا نكون قد عرفنا أن المعجزة هى ما يعجزك، فلا تستطيع أن تأتى بمثله.. مثل الشمس تتحدى البشر جميعا من بداية الكون إلى قيام الساعة، وكذلك القمر والنجوم، والهواء، والأرض، والسماء. فهذا الكون الذى خلقه الله جل جلاله هو معجزة، وتحدٍ للبشرية كلها.وإذا استعرضنا معجزات الرُسل السابقين، وجدنا هذه المعجزات تختلف عن منهجهم، فالمعجزة شىء والمنهج شىء آخر. ويوضح ذلك الشيخ محمد متولى الشعراوى قائلا..

الشعراوى: إن موسى عليه السلام.. كانت معجزاته العصا، ومنهجه التوراه. وعيسى عليه السلام.. كانت معجزته إبراء الأكمه (الأعمى) والأبرص.. وكان منهجه الأنجيل. ولكن معجزة رسول

الله ﷺ كـانت هى نفس المنهج (القـرآن الكريم) .. ليظل المنهج محروسا بالمعجزة، والمعجزة موجودة فى المنهج.

هذا هو أول أختلاف فى المعجزة بين رسول الله ﷺ .. وبين الرُّسل السابقين. المعجزة حين تنفصل عن المنهج، وتكون قائمة بذاتها، فإنها تحدث مرة واحدة وتنتهى. ولكن المعجزة تظل إلى يوم القيامة.

● مثلا؟

الشعراوى: فمثلا لو فرضنا أن العلم قد توصل إلى طريقة يشق بها البحر لاتكون المعجزة قد أنكشفت.

● لماذا؟

الشعرواى: لأن موسى عليه السلام.. قد ضرب البحر بعصاه.. فانشق وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطوْدِ العظيم﴾ (سورة الشعراء آية ٦٣).

صدق الله العظيم

●● انفرد رسول الله ﷺ عن كل خلق الله منذ عهد آدم إلى يوم القيامة بمعجزة كبرى.. هى معجزة «الإسراء والمعراج». فى هذه الليلة المباركة صعد إلى السماء السابعة، وتجاوز سدرة المنتهى.. ثم عاد إلى الأرض. ولم يحدث أن أطلع الله جل جلاله عبدا من عباده على ملكوت السماء بمن فيها إلا رسولنا عليه الصلاة والسلام فالحق سبحانه يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ (سورة النجم آية ١٨).

●● ولم يحدث لنبى أو رسول قبل محمدﷺ أن رأى الآية الكبرى فى السماء. هناك رسل رأوا آيات الله فى الأرض مثل موسى عليه السلام الذى قال عنه القرآن الكريم:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. وأضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء، آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ (سورة طه ٢٢ ـ ٢٣).

ولكن موسى عليه السلام، لم يصعد إلى السماء وهو حى ليريه الله الآية الكبرى فى ملكوت السماوات. ولكنه رأى الآية الكبرى على الأرض. أما رسولناﷺ فقد رأى آيات ربه الكبرى فى السماء.. وفرضت الصلاة بالأمر المباشر من الله لرسوله.. فكلما صلّينا رفعت صلاتنا إلى الله سبحانه وتعالى ليتقبلها. فكأن كل صلاة فيها من معجزة المعراج.

وأن علّة الخلق هى العبادة.. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿... وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ (سورة الذاريات ـ ٥٦).

والذى يمثّل قمة العبادة لله هو رسول اللهﷺ .. وهو الذى أُرسل ليحقق العبودية التى يريدها الله سبحانه وتعالى، ونحن نقتدى به والله سبحانه وتعالى يقول لنا: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (سورة الأحزاب ٢١).

وقال جل جلاله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (سورة الحشر ـ ٧).

وإذا كانت المعجزات الكونية قد حدثت للرُسل، فإنها ليست شيئا غريبا بالنسبة لرسول اللهﷺ.

ورسولنا عليه الصلاة والسلام جاء رحمة للعالمين لكل الأجناس والمخلوقات وكلها تجاوبت معه. لأنه مرسل إليهم، والعلماء حين أرادوا أن يفسّروا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين﴾ (سورة الأنبياء - ١٠٧).

● ماذا قالوا؟

قالوا: العالمين جمع عالم.

● وماهو العالم؟

ويجيب الشيخ الشعراوى قائلا: العالم هو كل ما سوّى الله سبحانه وتعالى. فكل شيء غير الله، اسمه عالم، فنقول عالم الغيب، وعالم الملكوت، وعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس..

ومادام الرسولﷺ قد أُرْسِل رحمة للعالمين، فلابد أن يكون كل عالم من هذه العوالم له شيء من الرحمة. وأن كل عالم من هذه العوالم يعطى لرسول اللهﷺ ما يثبت به الإيمان فى قلوب المؤمنين.

ويجعل الكفار يلتفتون إلى صدق رسالة رسول اللهﷺ علّهم يؤمنون. ويقول الشيخ محمد متولى الشعرواى.

الشعرواى: فعالم الغيب أعطى منه الرسولﷺ ما يؤكد لنا صدق رسالته. وعالم الملكوت رآه رسولناﷺ، وعرف من أسراره ما شاء له الله أن يعرف.

● وعالم الملائكة؟

الشعراوى: وعالم الملائكة كان يأتيه جبريل (أقرب الملائكة إلى الله) . وينزل عليه بالوحى، بل كان يأتيه.. على صورة بشر، ويجلس

معه أمام أصحابه. ولذلك عندما نقرأ قول الصحابة عن مجلسهم مع رسول اللهﷺ حين قالوا: بينما نحن جلوس عند رسول اللهﷺ إذ دخل علينا رجل شديد بياض الوجه، شديد بياض الثياب لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد.

● ماذا حدث إذن؟

فجلس إلى رسول اللهﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يده على فخذيه وقال: يا محمد ما الإسلام؟

محمدﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

قال جبريل: صدقت.. ومتى الساعة؟

محمدﷺ: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال جبريل: فما أشراطها؟

محمدﷺ: أن تلد الأمةُ ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة يتطاولون فى البنيان.

فتعجب الصحابة كيف يسأله ويصدقه.. فلما انصرف قال رسول اللهﷺ.

محمدﷺ: أتدرون من السائل؟

القوم: الله ورسوله أعلم.

محمدﷺ: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم

وفى الفصل الخاص بـ «تنبؤات المستقبل اعجاز للرسول» يقول الشيخ محمد متولى الشعرواى.. لقد حدثنا رسول اللهﷺ عن انتشار الدولة الإسلامية شرقا وغربا قبل وفاته. ولقد تحققت جميع نبوءاته وقامت الدولة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها وأن يخبرنا رسول اللهﷺ عن هذه الفتوحات قبل أن تقع .ثم تقع. فإنها تصير معجزة فى أيام وقوعها.

ويقول الشيخ الشعراوى ملقيا الأضواء على هذه المعجزة: إن رسول اللهﷺ نبى ورسول صادق فى التلقى عن ربه والدليل على ذلك أنه أنبأنا بما سيقع ووقع.. فعندما تفتح هذه الأقطار يتجدد إيمان المؤمنين بالإسلام، والذين لم يؤمنوا وتبلغهم هذه المعجزة، فإنها تلفتهم إلى صدق رسالة رسول اللهﷺ.

فالتنبؤات القريبة مثل فتح فارس والشام واليمن وواقعة الجمل، والتنبؤ بقتل الحسين وغير ذلك.. يتساءل الشيخ الشعراوى.. «أليست تثبيتا للمؤمنين على أن رسول اللهﷺ صادق فى التبليغ عن ربه؟

● وماذا كانت المعجزات الحسية عند الرسل السابقين؟

ويجيب الشيخ الشعراوى: ألم تكن تثبيتا للإيمان ولفتا للكفار أن يؤمنوا؟ عندما لم تحرق النار إبراهيم.. ألم يكن هذا تثبيتا للذين آمنوا بإبراهيم. ولفتة إلهية للذين كفروا. وموسى عليه السلام، حين شق البحر بعصاه.. ألم تكن هذه تثبيتا لمن آمنوا به.. ومعجزة للذين لم يؤمنوا.. حتى أن فرعون حين نزل إلى البحر وهو يغرق أعلن إيمانه وفى هذا يقول القرآن الكريم:﴿بسم الله الرحمن الرحيم.. حتى إذا أدركه الغرق قال آمنتُ أنه لا إله إلا الذى آمنتْ به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (سورة يونس ـ ٩٠).

وعندما قالوا لأبى بكر رضى الله عنه، أن محمدا يدّعى أنه أُسْرِىَ به من المسجدالحرام إلى بيت المقدس، وعاد فى نفس الليلة، فماذا قال أبو بكر؟

أبو بكر: إنَ كان قد قال فقد صدق!

لأنه يعلم أن رسولناﷺ لا يقول إلا حقا.

ويقول فى ذلك الشيخ الشعراوى: ويجب أن نأخذ هذا المنهج ونحن نناقش معجزات نبيناﷺ. وكل ما هو مطلوب.. هو أن نتأكد من صحة الحديث.. ثم نقول مثل أبى بكر: ما دام قد قال فقد صدق.

إنسانية الرسول الكريم

مصطفى صادق الرافعى

يا حبيبى. يا رسول الله.. يا خير الأنام.. وخاتم.. الأنبياء والمرسلين محمدﷺ يا من بُعثت لتكون نبيا للحب.. يغترف منه البشر، أصفى وأنقى ما فى الوجود.. فى قمة صورته..

يا من أختارك الله سبحانه وتعالى من جوف الصحراء لحكمة بالغة، واصطفاك من بيئة الأصنام لتكون هاديا للبشرية جمعاء.

ونستكمل معا رحلتنا مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة، وكتابنا اليوم للأديب الكبير الراحل مصطفى صادق الرافعى، عن إنسانية الرسول الكريم.. الإنسانية العليا. ويقول الرافعى: من أوصاف النبى ﷺ أنه كان متواصل الأحزان، دائم الفكره ليس له راحة. ولكنها أحزان النبوّة. إذ هو مكلف أن يصنع الإنسان الجديد وينفخ الآدميه فيه»

● ● ● كانت غزوة تبوك خاتمة غزوات النبى عليه الصلاة والسلام. ومن بعدها أقام بالمدينة مغتبطا بما أفاء الله عليه. وكان ابنه إبراهيم من ماريا القبطية قُرّة عينه له ثمانية عشر شهرا.

ولم يكن تعلّق محمد بإبراهيم لغاية فى نفسه لها اتصال برسالته أو بمن يخلفه، فقد كان عليه السلام فى إيمانه بالله وبرسالته لا يفكر في ولده، ولا فيمن يرثه بل كان يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه» إنما هى العاطفة الإنسانية فى اسمى معانيها، العاطفة الإنسانية التى بلغت من السمو فى نفس محمد مالم تبلغه فى أحد غيره.

● ● ● ولقد زاد هذه العاطفة رقة وقوة فى نفسه أن فقد ولديه القاسم وعبد الله، وهما ما يزالان طفلين فى حجر أمهما خديجة،

وأنه فقد بناته بعد خديجة واحدة بعد الأخرى بعد أن كبرن وصرن أزواجا وأمهات. فلم تبق منهن غير فاطمة.

هؤلاء الأبناء والبنات الذين تساقطوا من حوله فدفنهم بيده تحت صفائح الثرى، تركوا فى نفسه قرحة ألم اندملت بمولد إبراهيم.

لكن هذا الأمل لم يكن ليطول، فقد مرض إبراهيم. فلما كان فى الاحتضار وأُخبر النبى بأمره، أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف يعتمد عليه لشدة ألمه.

وفى البقيع كان النبى، ومعه الفضل بن عباس، وأسامة بن زيد، يحملان جثة إبراهيم، وخلفهم مارية تبكى ونساء من الأنصار والمهاجرين وقال الفضل للرسول الكريم متأثرا:

الفضل: أندفنه هنا فى البقيع؟

محمد: نعم.

أسامة: أدن يا ابن عباس!.. هذا الحفار قد فرغ من إعداد القبر.

محمد: أرى فُرجةً فى اللحد.

الحفار: إنها يا رسول الله لا تضر ولا تنفع..

محمد: أما إنها لا تضر ولا تنفع ولكن تقر بعين الحى، إن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه.

أصوات: أنظروا.. أنظروا.. إلى السماء.

محمد: ماذا؟

أصوات: انكسفت الشمس!

أسامة: أى والله.. انكسفت الشمس لموت إبراهيم!

أصوات: لموت إبراهيم انكسفت الشمس.. انكسفت الشمس لموت إبراهيم.

محمد: أيها الناس. إن الشمس والقمرآيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد.. ولا لحياة أحد..

الفضل: رحمة الله على إبراهيم..

محمد: أوقد فرغت أيها الحفار؟

الحفار: نعم.

محمد: إلىّ بقزية ماء

أسامة: هذه قربة الماء يا رسول الله..

محمد: رشها على قبر إبراهيم يا أسامة.

أسامة: استودعناك الله يا إبراهيم.. أتبكى يا رسول الله وقد نهيت عن البكاء!

محمد: إن إبراهيم ابنى وأنه مات وما زال يرضع.. وأن له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة.

الفضل: يا رسول الله!!. تبكى وأنت رسول الله؟!.

محمد: إنما أنا بشر، تدمع العين، ويخشع القلب، ولا نقول إن شاء الله إلا ما يرضى الرب، والله لولا أنه أجل معدود، ووعد صادق، ووقت معلوم، وان آخرنا لاحق بأولنا، لجزعنا عليه جزعا غير هذا.. إنا عليك يا إبراهيم لمحزونون!!.

ويتناول مصطفى صادق الرافعي شخصية الرسول الكريم، ويلقى عليها الأضواء من كل الجوانب الإنسانية، ويقول:

كان الرسول الكريم لا يتكلم فى غير حاجة، يعظم النعم وإن دقت. وكـــان خـــافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، من رآه لحظة يهابه، ومن خالطه معرفة يحبه. وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد، له نور يعلوه كأن الشمس تجرى فى وجهه، ومن سأله حاجة لم يرده، إلا بها أو بميسور من القول .كان أجود الناس بالخير.

صلي الله وسلم على صاحب هذه الصفات التى لا يجد الكمال الإنسانى مذهبا عنها ولا عن شئ منها. ويقول الرافعي أيضا:

ولو جمعت كل أوصافهﷺ ونظمتها بعضها إلى بعض، لرأيت منها كونا معنويا دقيقا قائما بهذا الإنسان الأعظم، كما يقوم هذا الكون الكبير بسننه وأصول الحكمة فيه، ولأيقنت أن هذا النبى الكريم إن هو إلا معجم نفسى حى ألقته الحكمة الإلهية بعلم من علمها، وقوة من قوتها، لتتخرج به الأمة التى تبدع العالم إبداعا جديدا.

وتتحدث السيدة عائشة رضى الله عنها عن تلك المعيشة الزاهدة التى كان يحياها الرسول الكريم، فتقول: «إنه كانت تمضى الشهور دون أن توقد النار فى بيت الرسولﷺ..وأنهم كانوا يعيشون على الأسودين: التمر والماء.

وأما ابنته فاطمة الزهراء فقد عاشت مع زوجها على بن أبى طالب فى فقر مدقع، وعوز شديد. ولم تستطع أن تستخدم إحدى السبايا فى خدمة البيت بل تولت تلك الخدمة بنفسها.

ولو أراد النبى ﷺ أن يعيش فى سعة من العيش لاستطاع، ولكنه كره الاسراف والتبذير، والترف. وضرب لأصحابه المثل الكامل لحياة المؤمنين.. ولم يحرموا أنفسهم من متاع الدنيا أو حرموا ما أحل الله. بل عاشوا حياة كريمة لاعوج فيها ولا إسراف.

قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك؛ ولا تبسطها كل البسط، فتقعد ملوما محسورا».

وكان ﷺ يقول لأصحابه.

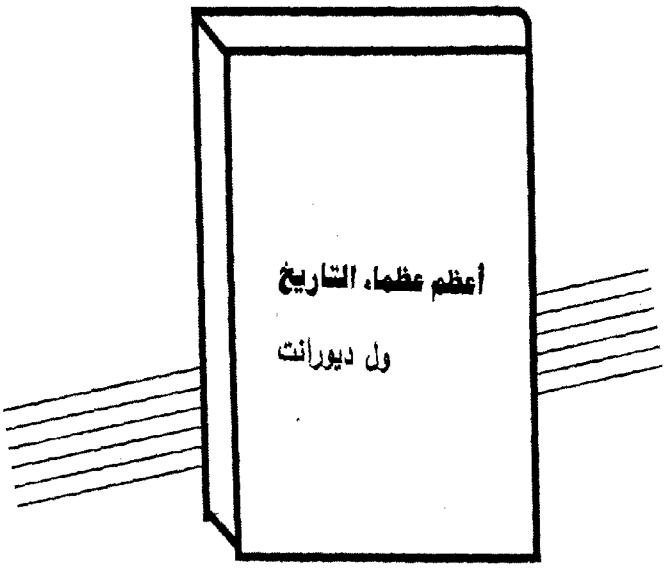
«والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتناسوها كما تناساها من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم..

وكان ﷺ لا يكره أن يكون المال فى يد الصالحين من المؤمنين فيقول ﷺ «نعم المال الصالح للرجل الصالح».

وإنما كان ﷺ يخشى أن يطغى المؤمن بالمال فينفقه فى معصية الله كما يفعل أكثر الأغنياء، وهو كفران لنعمة الله.

وكان النبى ﷺ يدعو الله قائلا:

«اللهم أحينى مسكينا، وأمتنى مسكينا، وأحشرنى فى زمرة المساكين».


أعظم عظماء التاريخ
ول ديورانت

كل شئ فى هذا الوجود يشدو

يا محمد.

وينادى فى حنان

يا محمد

أنت فى الشرق بقاء وخلود

أنت فى الكون وجود للوجود.

يا حبيب الرحمن

يا سيد الخلق والأنام، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان.

يا قدوة لكل البشر أجمعين، وصدق من قال

«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة»

والإنسان فى هذه الحياة الصحراوية.. كالتائه.. فى حاجة إلى من يروى عطشه. ولا نبع فى هذا الوجود ليرتوى منه إلا نبع الحب.. القرآن الكريم..، ومحمدﷺ يا حبيبى يا رسول الله.

ونستكمل معا رحلتنا مع الكتاب والمفكرين، والأدباء والباحثين، ورؤى جديدة فى السيرة العطرة .. وكتابنا اليوم «أعظم عظماء التاريخ» لصاحب «قصة الحضارة» وِل ديورانت. وهو صاحب الموسوعة التاريخية الضخمة. وأنصف الحضارة الإسلامية، وأفرد لها مجلدا خاصا من موسوعته.

وأوضح (وِل ديورانت) ما كان للحضارة الإسلامية من أثر فى حضارة أوروبا والعالم أجمع، وما يدين به العالم الحديث لهذه الحضارة. وأشاد بفضل محمدﷺ باعث الحضارة الإسلامية.

يقول «وِل ديورانت» إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا إن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ. فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء.

وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لا يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله، وقلّ أن نجد إنسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى، بل لأنه لم يكن ثمة قوة الدين تدفع العرب فى أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذى سلكوه.

فقد لجأ إلى خيالهم، وإلى مخاوفهم وآمالهم، وخاطبهم على قدر عقولهم.

عند العقبة فى موسم الحج، محمد يلقى رهطا من العرب، فيدعوهم إلى الدين الجديد.

محمد: من أنتم؟

القوم: نفر من الخزرج

محمد: أمن موالى يهود!

القوم: نعم.

محمد: أفلا تجلسون أكلملم.

القوم: بلى..

محمد: أنا رسول الله بعثنى إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله، ولا يشركوا بالله شيئا وأنزل على الكتاب، فهل تبايعوننى على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان، فإن وفيتم فلكم الجنة!

وينهض أحد القوم وهو أسعد بن زرارة ويقول:

أسعد: يا قوم، تعلموا والله أنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلاتسبقنكم اليه.

القوم: صدقت.

أسعد: أيها النبى!.. إنا نقبل منك ما عرضت علينا من هذا الدين

القوم: نعم، نقبل منك ونصدقك.

محمد: الله أكبر.

أسعد: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم، بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقوم عليهم فتدعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك.

ويقول «ول ديورانت» فى موسوعته الضخمة «قصة الحضارة».. كانت بلاد العرب حين بدأ محمدﷺ دعوته صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها، متفرقة كلمتها. وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة.

وقد كبح جماح التعصب والخرافات. وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينا سهلا واضحا قويا، وصرحا خلقيا قوامه البسالة، والعزة القومية،

واستطاع فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة، وفى قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى نصف العالم.

ويقول (ديورانت).. كانت حياة النبى محمدﷺ غاية فى البساطة، فقد كانت المساكن التى أقام بها واحدا بعد واحد كلها من اللبن لا يزيد اتساعها على اثنتى عشرة أو أربع عشرة قدما، ولا يزيد ارتفاعها على ثمان أقدام، سقفها من جريد النخل، وأبوابها ستائر من شعر المعز أو وبر الجمال.

طعامه الأساسى.. التمر وخبز الشعير، وكان اللبن وعسل النحل كل ما يستمتع به من الترف فى بعض الأحيان.

إن محمداﷺ قد أبدى فى أغلب حياته اعتدالا لافتا للنظر، فقد برهن ـ فى انتصاره النهائى ـ على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثال فى التاريخ.

أمر جنوده أن يعفوا الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء، وحظّر عليهم أن يهدموا البيوت. وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا فى حالة الضرورة القاهرة.

إن محمدا كان يجهل كل ما ليس علما مطلقا، وكان أميا بالمعنى الكامل من الكلمة، وليس معناها ـ فيما أرى ـ الخلو من التأدب، وإنما الأُمّى هو بالأحرى الرجل النقى الذى جمع بين الطبيعة وما فوق الطبيعية، والبرئ من الأحكام العقلية والقلبية المتسرعة. ومع ذلك فقد نهض لكى يدعو العلماء إلى أن يفهموا ما يقولون، وليقوّم الطرق الملتوية التى يضل فيها من يزعمون أنهم حكماء. إن محمدا قد جاء فى عصر يعد أحد عصور التاريخ المظلمة، إذ أن جميع المدنيات.. كانت منهارة أو مضطربة.

ويقول (ديورانت) إن محمدﷺ لم يتعاط الخمر التى حرمها هو على غيره. ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان.

وكان يرفض أن يوجه إليه شئ من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام ولايطلب إلى عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنانه من القيام به لنفسه.

ويلبس خاتما نقش عليه «محمد رسول الله» وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل.

وكان مرهف الحس إلى أقصى حد، لا يطيق الروائح الكريهة، فكان يتعطر ويكتحل. ولا يطيق صلصلة الأجراس، أو الأصوات العالية.

وكان كما قال سبحانه وتعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.



أسرة المسلسل اليومى
«المحديات»
طوال أيام شهر رمضان

• • فى شهر رمضان الكريم.. تلتقى أسرة مسلسل «المحمديات» الذى يكتبه الكاتب الأديب فتحى الأبيارى، ويخرجه مجدى سليمان. والأداء التمثيلى لكبار الممثلين والممثلات. الممثل العملاق محمود مرسى، والفنانة القديرة نادية رشاد. وكبار الممثلين سعد الغزاوى. ومرسى الحطاب. رشدى المهدى. مدحت مرسى. بالأشتراك مع نظير عبد الجابر. محمد المدّرك. أحمد حسن. عواطف حلمى. وغيرهم. وقد قررت خمس إذاعات عربية، إذاعة هذا المسلسل فى برامجها.

مؤلفات فتحى الإبيارى

مجموعات قصصية

● بلا نهاية..	دار نشر الثقافة بالاسكندرية	١٩٦٦
● قصص قصيرة جداً..	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية	١٩٧٢
● ترنيمة حب..	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية	١٩٧٣
● قصة دافيد كوبر فيلد		ط أولى ١٩٦١ ط. ثانية ١٩٧٣
● قلب الحب	(دار الشعب)	١٩٧٧
● كلمة حلوة	هيئة الكتاب	١٩٧٨
● رحلة صيد قصيرة	هيئة الكتاب	١٩٨٠
● آه يا بلد	مكتبة مدبولى	١٩٨٩
● عليه العوض	عالم القصة	١٩٩٣

دراسات نقدية وأدبية

● محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية	دار المعارف	١٩٦١

● فن القَصة عند تيمور	دار المعارف	١٩٦٤
● الجنس والواقعية فى القصة	هيئة الكتاب	١٩٦٦
● أدباؤنا والحب	دار الشروق	١٩٧٣
● الأم فى الأدب	هيئة الكتاب	١٩٦٦
● نبضات القلوب وأدباء الأقاليم	دار الشعب	١٩٧١
● الأم حكايات وقصص (طـ. ثانية)	كتاب أخبار اليوم	١٩٧٠
● الأم (الطبعة الثانية)	هيئة الكتاب	١٩٩١
● عالم تيمور القصصى	هيئة الكتاب	١٩٧٧
● الأم (الطبعة الرابعة)	هيئة الكتاب	١٩٩١

روايات

ـ رحلة خارج العبة ط. أولى	مطبوعات عالم القصة	١٩٧٢
ـ رحلة خارج اللعبة ط. ثانية	هيئة الكتاب	١٩٧١
وقد ترجمت إلى اللغة الإنجليزية	هيئة الكتاب	١٩٩٢
ـ أرنب كالآخرين	مكتبة مدبولى	
ـ رحلات حب سرية	مجلة الثقافة	١٩٧٨
ـ رحلة ٤٦	جريدة المستقبل	١٩٩٢
ـ ميريلاند		
ـ الديك		

دراسات صحفية وسياسية

ـ الرأى العـــام والمخطط الصهيونى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٩٦٩
ـ الصحافة الاقليمية والتنظيم السياسى	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية	١٩٦٩
ـ القهيلا	هيئة الكتاب	١٩٧٠
ـ الصهيونية	دار المعارف (كتابك)	١٩٧٧
ـ اكتوبر والـ ١٠٠ يوم من أجل السلام	هيئة الاستعلامات	١٩٧٦
ـ صحافتنا الاقليمية والاسكدرية	هيئة الكتاب	١٩٧٦
ـ صحافة المستقبل والتنظيم السياسى	دار المعرفة بالاسكندرية	١٩٨٥
ـ الإسلام والرأى العام «الفهيلا»	دار المعرفة بالاسكندرية	١٩٨٥
ـ الإعلام الدولى والدعاية	دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية	١٩٨٥
ـ نحو إعلام دولى جديد	هيئة الكتاب	١٩٩٠
ـ فن الدعاية	هيئة الكتاب	١٩٨٩

كتب عن المؤلف

• (فتحى الابيارى رؤية نقدية)	مطبوعات عالم القصة	١٩٨٩

● (فتحى الابيارى المرأة/ الحب/ الحـيـاة) مـلاك ميخائيل | جريدة المستقبل | ١٩٩٠

كتب فى الفكر الإسلامى

ـ السيدة نفيسة	(كريمة الدارين)	١٩٨٩
ـ فى ضيافة الرحمن	(دار الصفوة)	
ـ المحمديات	(الأجزاء التالية)	
ـ المرأة فى القرآن والإسلام		١٩٩٠

اخر المؤلفات

محمدﷺ نبع الحب

المحتويات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٤/٥٣٦١

ISBN 977- 01- 3959 - 9



هذا هو الجزء الأول من «المحمديات» أو موسوعة سيد الخلق والأنام، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان، سيدنا محمد ﷺ. وهي رحلة مع الكتاب والمفكرين، والباحثين في أنحاء العالم. ورؤى جديدة في السيرة العطرة. من خلال خمسمائة كتاب قديما وحديثا. وقد قدمت الإذاعة المصرية في البرنامج الدرامي «المحمديات» عددا كبيرا من هذه الكتب، وهذه الموسوعة. ليست تلخيصا لبعض الكتب، أو عرضا لها، أو نقدا لها.. وإنما هي تسعى الى البحث عن رؤى جديدة في هذه الكتب.

وهذا مجهود خارق من الباحث في مئات الكتب والدراسات، والأبحاث، لاستخراج هذه الرؤى الجديدة عن الحبيب المصطفى سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام. و «لكم في رسول الله أسوة حسنة». ولن تنتهي هذه الرؤى.. حتى نهاية هذا العالم.

١٠٢٥ الرقم